فأَيْنَ أَصحابُ الغَمَرَ إذ شَرِبوا كأْسَ المَقِرِ

وقُصِروا فيمن قُصِر «هَيْهاتَ لايَخْفى القَمَرُ» (١)

أَصْحَرْتَ إذ دَبُّوا الخَمَرَ شُكْراً «وحُرٌّ من شَكَرَ» (٢)

فالله يُعْطيكَ الشَّبَرَ وفى أعادِيكَ الظَّفَرَ (٣) ! !

واللهُ من شاءَ نَصَرَ ! ! ! وأَنْتَ إن خِفْنا الحَصَرَ (٤)

وهَرَّ دَهْرٌ وكَشَرَ عن ناجِذَيْه وبَسَرَ : — (٥)

أَغْنَيْتَ ما أَغنى المَطَرَ وفيكَ أَخلاقُ اليَسَرَ (٦) ! !

الى الممدوح لا الى ابيه . والورد والصدر: القوم يردون الماء ويصدرون عنه ، والمراد هنا أنه ملجأ ومقصد للناس فى غدوهم ورواحهم . وقوله : وان علا الامر اقتدر ، أى ان ركب العظائم من الامور : ذللها وسهلها

(١) الغمر بالتحريك : الحقد والحسد . والمقر ككتف الصبر ، ويقال . هذا الشىء أمر من المقر . وقصروا أى حبسوا . وفى بعض نسخ الديوان بدل هذا الشطر : وكسروا فيمن كسر . والمعنى أنك كالقمر لا تخفى ، وانهم مهما حاولوا سترك وستر فضائلك بكيدهم وحقدهم فلن يبلغوا الى ذلك سبيلا

(٢) أصحر: برز الى الصحراء . ودبوا : مشوا على هينتهم . والخمر بالتحريك : كل ما ستر ك من شجر أو بناء أو نحوه . ويقال للرجل اذا اختل صاحبه : « هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر» . والمعنى أنك ظهرت عليهم بصراحتك ، وكفاك الله كلما دسوا لك من دسائس وأضمروا لك من سوء

(٣) الشبر بالتحريك : الخير والقوة . والظفر : الفوز بالمطلوب

(٤) الحصر بالتحريك ضيق الصدر ، والمراد به الفقر والحاجة . وهذا الشطر اقتضاب محض

(٥) هر الكلب ونحوه : عوى ، وهو دون النباح . وكشر السبع والعدو عن ناجذيه أبداهما . وبسر أى عبس . وكنى بذلك عن تغير الدهر والاحتياج وسوء الحال

(٦) الشطر الاول من هذا البيت جواب إن ، فى قوله فى البيت السابق : ان خفنا الحصر : وهو خبر عن قوله : وأنت فى البيت عينه أيضاً . وما مصدرية . وأغنيت : من الغنى وهو ضد الفقر ، أو من الغناء بالفتح والمد ، وهو الكفاء والمسد . واليسر : السهل لين

فإن أبوْ إلاَّ العسَر أمررْتَ حبْلاً فاستمر (١)

حتَّى ترىٰ تلك الزُّمَر تهْوِى لأذْقانِ الثُّغَر (٢)

من جذْبِ ألْوَىٰ لو نَتَر اليه طَوْداً لانْأطَر

صَعْبٍ إذا لاقَى أبَر وإن هفَا القومُ وقَر (٣)

أو رَهِبوا الأمرَ جَسَر ثم تَسَامىٰ ففغَر

عن شِقْشِقٍ ثم هدَر ثم تناجىٰ فخطَر (٤)

بذى سَبِيبٍ وعُذُر يمْضَغُ أطْرافَ الوَبَر!!! (٥)

الانقياد . يريد ان الممدوح يزيد فى الكرم والعطاء على المطر ، لانه متى طلب وجد ، بخلاف المطر . وفى معناه قول الشاعر:

من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكى وانت تعطى وتضحك !!

(١) العسر بالتحريك : الشدة وصعوبة الانقياد . وقوله : أمررت حبلا أى أحكمت فتله . وكنى بالحبل عن القوة والعزم . يريد فان أبوا الا المعاندة والمخاتلة ، شحذت لهم عزمك فجذبتهم اليك

(٢) الزمر : الجماعات تأتى بعضها فى إثر بعض . وتهوى : تسقط . والاذقان جمع ذقن بالتحريك وهو مجتمع اللحيين من أسفلهما . والثغر كصرد جمع ثغرة بالضم ، وهى نقرة النحر التى بين الترقوتين واضافة الاذقان اليها لادنى ملابسة

(٣) الجذب الشد . والالوى . الشديد الخصومة . ونتر : جذب بجفاء . والطود الجبل ، وانأطر : اعوج وانثنى . وقوله : صعب أى عسر لايطاق . وأبر : أهلك . مأخوذ من قولهم : أبرت العقرب ، اذا لدغت بابرتها أى بطرف ذنبها . وهفا : أى أسرع أو ذل . ووقر : أى رزن وثبت

(٤) رهبوا : خافوا . وجسر : مضى ونفذ . وتسامى : تطاول وعلا . وقوله : ففغر أى فتح فاه . والشقشق والشقشقة : شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج . وهدر أى صاح . وتناجى أى همهم كأنه يتكلم بصوت خفى . وفى بعض نسخ الديوان : ثم تجافى : أى بعد . وخطر أى تبختر ، مأخوذ من الخطر ، وهو أن يخطر البعير بذنبه ، يرفعه ويخفضه ، وانما يفعل ذلك عند الشبع والسمن من شدة الهيجان

(٥) السبيب شعر الذنب والعرف والناصية أو الخصلة من الشعر ، والمراد به الذنب . والعذر كصرد جمع عذرة بالضم ، وهى الخصلة من الشعر ، وعرف الفرس وناصيته . ويمضغ اى يعض

هَلْ لَكَ — والهَلُّ خِيَر: — فيمَنْ إذا غِبْتَ حضَر،[١]

أو نالَكَ القَوْمُ ثَأَر، وإن رَأى خيراً شَكَر،[٢]

أو كان تَقْصِيرٌ عَذَر؟[٣]

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاد:

سادَ المُلوكَ ثلاثةٌ ما منهمُ أن حَصَّلوا إلاَّ أغَرُّ قَريعُ:[٤]

سادَ الرَّبيعُ وسادَ فَضْلٌ بعدَه وعَلَتْ بعبَّاسِ الكَريم فُرُوع

عَبَّاسُ عباسٌ اذا احْتَدَم الوَغَى والفَضْلُ فَضْلٌ والرَّبيع ربيع[٥]

والوبر. صوف الابل. والفحل انما يفعل ذلك لتخضع له الفحول. وفى بعض نسخ الديوان. يمصع أطراف الابر، مأخوذ من مصعت الدابة بذنبها: اذا حركته وضربت به يمينا وشمالا وضربت به ظهرها من شدة الهيجان. والابر جمع ابرة، وهى ما انحدر من عرقوب الفرس ونحوها من الدواب. وأراد بذلك تشبيه الممدوح بالفحل بين الابل؛ وهو كناية عن الرياسة والظفر على الاعداء وقهرهم

(١) هل الاولى استفهامية. والثانية قصد لفظها فساغ دخول الالف واللام عليها. قال فى لسان العرب لمؤلف هذا الكتاب: جعل أبو الدقيش هل التى للاستفهام اسما أعربه وأدخل عليه الالف واللام. وذلك أنه قال له الخليل بن أحمد: هل لك فى زبد وتمر؟ فقال أبو الدقيش: أشد الهل وأوحاه. فشدد غير مضطر ليكمل عدة حروف الاصول فى الاسم، وأقلها ثلاثة. قال: وسمعه أبو نواس فتلاه فقال يمدح الفضل بن الربيع: هل لك والهل خير الخ. قال: وكذلك كل حرف أداة اذا أدخلت عليه الالف واللام صار اسما، قال الشاعر: ☆ ان ليتا وان لوا عناء ☆ قوله: خير اى تخيير، أى لك ما تختاره

(٢) نالك القوم: أصابوك بشىء تكرهه. وثأر اى طلب الثأر عنك. وفى بعض نسخ الديوان: أثر، ومعناه ذكر مناقبك ومآثرك. وقوله: شكر أى لم يكفر النعمة. وفى بعض نسخ الديوان: نشر، ومعناه اذاع فضائلك وفواضلك

(٣) التقصير: العجز وعدم الاستطاعة، أو التوانى فى قضاء الحاجات، ولعله هو المراد هنا. وقوله: عذر أى التمس الاعذار

(٤) ساد من السؤدد. وحصلوا أى ميزوا الحاصل من المال. والقريع السيد فى قومه

(٥) عباس الاول علم، والثانى من العبوس التكشير كما يعبس السبع. والفضل الاول علم، والثانى ضد النقص وهو الزيادة. والربيع الاول اسم، والثانى الغيث

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد الأمين بالأموال والقضيب والخاتم، حين مات الرشيد، وقد اشتد فرح الأمين به، فقرّبه، وألطفه، وقلده الأمور، وفوّض اليه ما وراء بابه، فهو الذى يولى ويعزل، ويحلّ ويعقد عن محمد الأمين. واحتجب الأمين، فلم يكن يقعد لذا فى الفتنة:

لَعَمْرُكَ ما غابَ الأمِينُ محمدٌ
عن الأمر يَعْنِيه اذا شَهِدَ الفضلُ
ولولا مَواريثُ الخلافة أنَّها
له دُنَه ما كان بَيْنَهُما فَضْلُ
لَئِن كانت الأجسادُ فيها تبايَنَتْ
فَقَوْلُهما قولٌ وفِعْلُهما فِعْلُ
أرى الفَضْلَ للدُّنيا وللدِّين جامِعاً
كما السَّهْمُ فيه الرِّيشُ والفُوق والنَّصْلُ!!![1]

ولأبى نواس فى وصف غلام:

من كان تُعْجِبه الأُنْثَى ويُعْجِبها
منَ الرجالِ فإنى شَفَّنى الذَّكَر
فَوق الخُماسىّ لما طَرَّ شارِبُه
رَخْصُ البَنَانِ خلا من جِلْدِهِ الشَّعَر

---

(١) الريش ما يوضع فى السهم، والفوق بالضم موضع الوتر من السهم. والنصل حديدة السهم

لم يَجْفُ من كِبَرٍ عما يُرادُ به من الامورِ ولا أزْرىٰ به صِغَرُ

وقال أيضاً وأجاد [1] :

يا قَلْبُ وَيْحَكَ جِدَّ منك ذا الكَلَف

ومَن كَلِفتَ به جافٍ كما تَصِف !

وكان فى الحقِّ أن يهواك مُجْتَهِداً

كذاك خبَّر منا الغابِرَ السَّلَف

قُل للمَليح : أما تَرْوِى الحديثَ بما

خالفتَ فيه وقد جاءتْ به الصُّحُف ؟

إنَّ القُلوبَ لأجْنادٌ مُجَنَّدَةٌ

لله فى الأرض بالأهواءِ تَخْتَلِف

فما تَعارف منها فهو مُؤْتَلِفٌ

وما تَناكَرَ منها فهو مُخْتَلِف

وقال أيضاً :

مرَّ بنا والعُيونُ تَرمقُه تجرحُ منه مَواضِعَ القُبُلِ

أُفرِغَ فى قالَب الجمال فما يَصْلح إلاَّ لذلك العَمَلِ

---

(١) هذه الابيات الآتية ذكرها ابن المكرم فيما سيأتى من هذا الكتاب عند قوله : وقال لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم : « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »

وقال ملغزاً [١] فى طريف ، ويروى لعبد الله بن طاهر :

إسمٌ من أهواه إسْمٌ حَسَنٌ فاذا صَحَّفْتَه [٢] فهو حَسَنْ
وإذا أَسقطتَ منه ياءَه صار فيه بعضُ أسبابِ الفِتَنْ
وإذا ألقيتَ منه رَاءَه صار شيْئاً يَعْتَرِى عند الوَسَنْ
واذا ألقيتَ منه طاءَه صار فيه عَيْشُ سُكَّان المُدُنْ
فَسِّروا هذا ، ولنْ يَعرِفَه غيرُ من يَسْبَحُ فى بَحْرِ الفِطَنْ

وقال أيضاً فى الاعتذار :

رسولى قال : أوصلتُ الكتابا فما رَدُّوا عليك له جوابا
فقلت : أليس قد قرأوا كتابى ؟ فقال : بلى ، فقلت : الآنَ طابا
فأَرجو أن يكون هُمُو جوابى بلا شَكٍّ اذا عرفوا الخِطابا
أُحيدُ لَكَ المُنى يا قلبُ كَيْلا تَموتَ علىَّ غمًّا واكْتِئابا ! !

وقال متغزلا فى رحمة [٣] بن نجاح

---

(١) اللغز : الكلام الملتبس وتعمية المراد من الكلام

(٢) التصحيف : قلب الحروف بتغيير اعجامها

(٣) فى الاصل : بنت نجاح . وفى الاغانى . رحمة بن نجاح بن سلمة الكاتب ، وكان متقدماً فى جماله . وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلا مدينياً وكان معهم كاحدهم . وأكثر أبو نواس التشبيب برحمة فى اقامته ببغداد وشخوصه عنها . قال : وافتدى أبو رحمة من أبى نواس ذكر ابنه ، بأن عقد بينه وبينه حرمة ، ودعاه الى منزله ، فجاءه أبو نواس والمدينى عنده لا يعرفه ، فمازح أبا نواس مزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام اليه رحمة فعرفه أنه أبو نواس . فاشفق المدين من ذلك وخاف أن يهجوه ويشهر اسمه . فسأل رحمة أن يكلمه فى الصفح له والاغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس الى ذلك . وقال :

إذا ابتهلتُ سألتُ اللهَ رحمَتَه

كَنَّيْتُ عنكَ وما يَعْدوكَ إضماري

أحْبَبْتُ من شِعْرِ بَشَّارٍ لحُبِّكم

بيتاً لهِجت به من شِعْرِ بَشَّارِ :

(يا رحمةَ اللهِ حلّى فى منازلنا)

وجاوِرِينا فَدَتْكَ النفسُ من جار !!!

وقال أيضاً فى الاعتذار اليه حين مرض ولم يعده :

إنّي حُمِمْتُ ولم أشعر بحُمّاكا حَتَّى تحدَّثَ عُوَّادى بشَكْواكا

فقلت : ما كانت الحمّى لتعهدنى من غير ما عِلَّةٍ إلا لحمّاكا

وخصلةٌ هى أيضاً يُستدَلُّ بها عافانِيَ الله منها حين عافاكا

أما إذا اتَّفقتْ نفسى ونفْسُكَ فى هذا وذاكَ وفى هذا وفى ذاكا

اذهب ، سلمت من الهجاء ولدغه وأما ولثغة رحمة بن نجاح :

لولا فتور فى كلامك يشتهى ، وترفقى لك بعد واستملاحى ،

وتكسر فى مقلتيك هو الذى عطف الفؤاد عليك بعد جماح ،

لعلمت أنك لا تمازح شاعراً فى ساعة ليست بحين مزاح ! !

وقد كان بشار بن برد الشاعر قد قال فى امرأة يهواها اسمها رحمة :

يا رحمة الله حلى فى منـــازلنا حسبى برائحة الفردوس من فيك

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر الا شهادة أطراف المساويك

فقال أبو نواس أبياته الثلاثة المذكورة فى رحمة بن نجاح وضمنها شطراً من بيتى بشار المذكورين (عن الاغانى)

فكن لنا «رحمةً» نفسى فِداكَ ولا تكن خلافاً لما ذو العَرْشِ سَمَّاكا
فقد علمتَ يقيناً أو ستعلمه صَنيعَ حبك فى قلبى وذِكْراكا!!!

وقال فى غزل المذكر :

لَلَطْمَةٌ يَلْطِمُنى أمْرَدٌ ، يأْخذُ منّى العيونَ والفَكَّا ،
أَطيبُ من تُفَّاحةٍ من يَدَىْ ذِى لِحْيَةٍ قدحُشِيَتْ مِسْكا!!

وقال : وقد أفطر يوماً من شهر رمضان وشرب ولاط وزنى ، فعذله إخوانه فى ذلك :

دَعْ عنك ما جَدُّوا به وتَبَطَّلِ واذا لَقِيتَ أخا الحقيقة فاهْزِل
لا تَرْكَبَنَّ من الذُّنوب صَغيرَها واعمد اذا قارفتها للأَنْبَلِ
وخَطيئةٍ تَعْلو على مُسْتامِها يأْتيك آخِرُها بِطَعْم الأَوَّل
ليستْ من اللَّاتى يقول لها الفتى عند التَّذَكُّر : ليتَنى لم أفعَل
حَلّلت لا حَرَجا علىَّ حَرامَها ولَرُبَّما حَلّلتُ غير مُحَلّل ! !

وقال أيضا فى شهر رمضان :

لو كان لى سَكَنٌ بالرَّاح يُسْعِدُنى
لما انتظَرتُ بشَهر الصوم إفطارا
الرَّاح شىءٌ عَجيبٌ أنت شاربُه
فاشرب وإن حَمَّلَتك النفسُ أوزارا

يا من يلومُ على صَهباءَ صافيةٍ :

صِرْ فى الجنانِ ودَعْنى أَسْكن النارا

وقال يهجو شهر الصوم :

ألا يا شَهْرَكم تبقَىٰ ؟ مَرِضْنا ومَلَلْناكا

اذا ما ذُكِرِ الحمد لشوَّالٍ ذَمَمْناكا

فيالَيْتَكَ قد بِنْت وما نَطْمع فى ذا كا ! !

وقال فى المجون :

أزاحِمُه إذا صلَّى لتَمسَحَ رِجْلُهُ رِجْلى

وأطْلبُ تَحتَه نَعْلى وما إن تَحتَه نَعْلى

فَهَل أحدٌ بما جَمَّشْ تُ جَمَّش شادِناً قَبلى ؟

وله فى عزة النفس :

ومُســـتَعْبِدٍ إخوانَه بثَرَائِه

لَبِستُ له كِبْراً أبَرَّ على الكِبْرِ

إذا ضَمَّنى يوماً وإياه مَحْفِلٌ

يرىٰ جانبى وَعْراً يزيدُ على الوَعْرِ

أُخالِفه فى شَكلِهِ وأَجرُّه

على المَنْطِقِ المبرور والنَّظَرِ الشَّزْرِ

وقد زَادَنى تِيهاً على النـاس أنَّنى
أرانِىَ أَغناهم وان كنتُ ذا فَقْر
فوللهِ لا يُبْدى لسانِىْ لَحاجَةً
الى أحدٍ حتَّى أُغَيَّب فى قَبْرى
فلا يَطْمعَنْ فى ذاك منِّىَ طامعٌ
ولا صاحبُ التَّاج المحَجَّب فى القَصْر !
فَلَو لم أَرِثْ فَخْراً لكانت صِيانَتى
عن الناس حَسْبِى من سؤالِى من الفَخْر

وله أيضاً فى معنى ذلك :

لا أعير الناسَ سَمْعى ليعيبوا لى حَبيـبَا ! !
لا ولا أحفظ منهم لأخِلاَّئى العيوبا ! !
فاذا ما كان كَوْنٌ قمتُ بالغَيْبِ خَطيباً
أحفظ الاخوان كَيما يحفظوا منى المَغيبا

وقال يعاتب عمرا الورَّاق :

يا مَن جَفَانى وملاَّ : نسيتَ أهلاً وسَهْلاَ
ومات مَرحَبُ لمّا رأيْتَ مالِىَ قَلاّ

إنى أظنُّك تَحْكى فيما فعلتَ القِرِلّىٰ
تلقاه فى الشرِّ يَنْأَىٰ وفى الرّخا يَتَدَلّىٰ (١)

القرلّى مولى كان لحمير وكان لا يسمع بأحد شيئاً الا جاء اليه وداخله ، ولا يتخلف عن طعام لأحد ، واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك الطريق . فضرب به المثل ، حتى قيل لطير من طيور الماء ، يوفى عليه : القرلّى

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد اللاحقى قبل أن يتهاجيا :

أَأَبانُ نَكِّبْ عن عداوتنا لكَ غيرَ قَرع صَفَاتِنا لَهْو (٢)
أنّى يزيدك أنْ تصيِّر لى شُغْلاً هِجاءَك إننى خَلْو

وقال فى الزهد :

أخى ما بالُ قلبك ليس يَنْقىٰ ؟ كأنّك لا تَظنُّ الموتَ حقّا !
ألا يا ابنَ الذين فَنَوا وبادوا : أما واللهِ ما ماتوا لتَبْقَىٰ !
وما للنّفْسِ عندك من مُقَامٍ إذا ما استكملتْ أجلاً ورزْقا
ومالك غيرَ ما قدّمتَ زادٌ إذا جعلَتْ إلى اللّذات تَرقى
وما أحدٌ بزادِكَ منك أحْظَىٰ ولا أحدٌ بذَنْبِك منك أشْقَى

---

(١) جاء فى الامثال : « احذر من قرلى ، ان رأى خيراً تدلى ، وان رأى شرا تولى » والقرلى بكسرتين ولام مشددة بعدها الف مقصورة . طائر كثير الحذر يوجد على وجه الماء على جانب ، يهوى باحدى عينيه الى قعر الماء ، طمعا ، ويرفع الاخرى الى الهواء ، حذرا

(٢) الصفاة . الصخرة الملساء ، وقرعها كناية عن امتحانها واختبارها هل تلين أم لا . ويقال فى المثل : « ما تندى صفاته » ومنه الحديث : « لا تقرع لهم صفاة » أى لا ينالهم أحد بسوء

وقال يصف نديما :

ومُسْتطيلٍ على الصَّهباءِ باكَرَها ... فى عُصبَةٍ باصطباحِ الرَّاحِ حذَّاق

حتّى حساها فلم يلْبَثْ وما لَبِثَت ... أن خرَّ مَيْتًا صَريعاً ما له واق !

فكلُّ كَفٍّ رآها ظنّها قَدَحاً ... وكلُّ شخصٍ رآه ظنّه الساقى (١)

وقال فى المجون :

ليس لى فى الحُرّ حاجَه ... نيكه عندى لجاجَه

ما يريد الحرّ الاّ ... كلُّ ذِى فَقْرٍ وحاجَه

أدخِلوا باللهِ يا قَوْ ... مِ مكان الأَيْر ساجَه

واذا نِكتم فنيكوا ... أمرداً فى لون عاجَه

« حبس الأمين له ورميه بأنه من الثنوية واستنجاده بالمأمون »

ولما عمل أبو نواس قصيدته التى أولها : * ومستعبد إخوانه بثرائه * بلغت

---

(١) ذكر فى ديوان أبى نواس ، فى باب نقائضة . أنه اجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشى فى مجلس ، فتذاكرا الشعر . فقال أبو نواس للرقاشى : سبقتنى الى أبيات وددت أنها لى بجميع شعرى . قال : وما هى ؟ قال قولك :

نبهت ندمانى الموفى بذمتـــه ... من بعـد ايعاب كاسات وأقداح

وأخذ أبو نواس ينشدها ، الى ان وصل الى قوله فيها :

خذ واسقنى خمرة واشرب وغن لنا ... يا دار مثواى بالقاعين فالســـاح

فما حسا ثانيـــا أو بعض ثالثـــة ... حتى استدار ورد الراح بالراح

فقال له الرقاشى : ولـكنك سبقتنى الى أبيات وددت انها لى بكل شعرى . قال : وما هى ؟ قال : قولك :

ومستطيل على الصهباء باكرها ... فى فتية باصطباح الراح حذاق

الى آخر الابيات الثلاثة المذكورة .

الامين ، فبعث اليه ، وعنده سليمان بن أبى جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا عاض بَظْر أمه العاهرة ، ويا مدعى ولاء حاءَ وحَكَم : أتدرى يا ابن اللَّخناء ، من تولَّيت ، والى من ادَّعيت ؟ الى ألأم قبيلتين فى اليمن ، علوج باغين . أنت تكتسب بشعوك أوساخ أيدى الناس اللئام ، وتقول : * ولا صاحب التاج المحجَّب فى القَصْر * أما والله ما نلت منى شيئاً بعد ذلك أبداً

فقال له سليمان بن أبى جعفر : إى والله ! ثم هو مع هذا من كبار الثَّنَوِيَّة (١) (وكان يرمى بذلك) . فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشىء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نَفَر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مَطِير ، فوضع قدحه تحت السماء فى المطر ، فوقع فيه المطر . فقالوا له : ما تصنع بذلك ؟ وَيْحك ! قال : أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملَك ، فكم ترانى أشرب الساعة من الملائكة ؟ ثم شرب ما فى القدح . فغضب محمد ، وأمر به الى السجن . فذلك قول أبى نواس :

يا رَبِّ إنّ القومَ قد ظلمونى ... وبلا اقْتراف مُعَطِّلٍ حَبَسونى

وإلى الجحود بما عرفتَ خِلافَه ... رَبِّى إليك بكِذْبِهم نسبونى (٢)

ما كانَ إلا الجَرى فى مَيْدانهم ... فى كلّ خِزْيٍ والمجانَة دِينِى (٣)

لا العُذْر يُقْبَل لى ويفرَقُ شاهدى ... منهم ، ولا يَرضونَ حَلْفَ يمينى (٤)

---

(١) الثنوية أصحاب الاثنين الازليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . بخلاف المجوس فانهم قالوا : بحدوث الظلام ، بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجناس والابدان والارواح (عن الملل والنحل للشهرستانى)

(٢) والذى فى الديوان : والى الجحود بما عليه ظويتى ... بالزور والبهتان قد نسبونى

(٣) والذى فى الديوان : فى كل حال والتقية دينى

(٤) يفرق . يخاف . وفى الديوان :

لا العذر ينفعنى ليقمع حاسدى ... منى ولا بالبر حلف يمينى

ما كان — لو يدرون — أولَ مَخْبأٍ في دار مَنقَصَةٍ ومنزل هُونِ
أما الأمين فلستُ أرجو دَفْعَه عنّى ، فمن لى اليومَ بالمأمونِ ؟

فبلغت أبياته المأمون : فقال : والله لئن لحقته لأغنيته غِنىً لا يؤمله . فمات قبل دخول المأمون بغداد

« عبثه بأبى حاتم السِّجِستانى فى المسجد الجامع بالبصرة »

قال السِّجِستانى : كنت وأنا غلام فى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة . فبينا أنا كذلك ، اذ دخل أبو نواس ، فجاء حتى جلس الىّ ، وجعل يعبث بى ، وينشدنى الشعر . فقلت : اللهم خلصنى منه ومن يديه كيف شئت . قال : ثم دخل علينا المسجد غلام نَسَفى من أجمل الناس . فلما بصر به أبو نواس ، قال : هاهنا هاهنا ، ثم تنحّى عن مكانه وأجلسه بينى وبينه ، وجعل يحدّثه وينشده ، الى أن أقاموا الصلاة . فالتفت الىّ وقال : اسمع :

أُتيحَ لى يا سَهْلُ مُستظْرَفٌ تَسْحر عبنى عَيْنُه السَّاحِرَه

ثم التفت الى الغلام وقد قام للصلاة ، فنظر الى مؤخره ، وهو أرسح[1] فقال:

ماشِئْتَ من دُنْيا ، ولكنَّه منافقٌ ليستْ له آخِرَه

قال : فقلت له : علىَّ عهدٌ ، قد سمعت هذا الشعر منك مرَّة ، فقال : والله ما قلته الا الساعة !

---

(١) أرسح من الرسح بالتحريك ، وهو قلة لحم العجز والفخذين

وله أيضاً فى المعنى :

وشادِنٍ أهْيفَ ذى غُنَّـةٍ يَقْصُر عنه النَّعت والوَصْف
حتى إذا صِرْتَ الى حاضرٍ منه اذا ليس له خَلْف !!

وله فى هذا المعنى ايضاً :

هذا غلامٌ حسَنٌ وجهُهُ ليست له من خَلفِه آخِرَه
رُبَّ فتًى دنياه ليست له من خَلْفِه آخِرةٌ وَافِره
وآخرٌ فازَ بكِلْتيهما قد جمع الدُّنيا مع الآخره

وله أيضاً

أربعةٌ تعجبُ لُحَّاظها كَرَّةُ من يُبْصِرها خاسرَه
فواحدٌ دنياه ليست له بلى له من خَلْفه آخِرَه
وآخرٌ دنياه منكوسةٌ من خَلْفه آخِرةٌ وَافِره
وآخَرٌ فاز بِكِلْتيهما فالنَّفس إذ تُبْصِره طائره،
ورابعٌ من بينهم خائِبٌ ليست له دنيا ولا آخِرَه

« عبثه بغلام سليمان بن أبى سهل ثم وصفه له »

قال سليمان بن أبى سهل : دعوت أبا نواس يوماً ، وكان عندى غلام قد ربيته ، عجيب الحسن ، وهو يسقينا يومئذ . فوضع أبو نواس عينه عليه ، وما زال

يعبث به . ثم قال : أحب أن تَهَبه لى ، فانه مادام فى ملكك لن أعرض عنه . فقلت له : ويحك ! صبىّ قد ربيته ، وهو عندى مثل ولدى ، كيف أفارقه ؟ قال : والله لابدّ منه ، فقد فتنتنى عيناه . فقلت له : سأنظر فى ذلك . فلم يزل يشرب الى أن أخذت منه الأقداح مأخذها . وأراد الانصراف ، فقال : أنصرف ، وقد سألتك حاجة فلم تقضها لى ؟ فتذممت [1] منه أن يسأل حاجة وأرده عنها ، وخفت مع ذلك لسانه . فقلت له : صفه بَدِيهاً ، فان أجدتَ وصفه واستحسنتُه ، فخذ بيده وانصرف . فكان والله كأن قدم على ما أردت من قبل أن أقول . فهيّأ شعراً وقال على المكان : اسمع ، وأنشدنى :

وغَرِيرِ الشَّبَابِ مُحتَبِكِ الحُسْـ ... ـنِ على جِيـده مَناطُ التَّميم ! !
قد غَذَاه النَّعيم فاحْمَرَّتِ الوَجْـ ... ـنَةُ منه على فَسَـادِ الحُلومِ
فهو عَفُّ الجُفُون فى النظَرِ العَمْـ ... ـدِ حِذَاراً على فؤادِ النّديم
يَتَثَنَّى إذا مَشَى فهو لَدْنٌ ... فى اعْتِدالٍ بجَودَةِ التّقْويم
أنْدَبَتْ [2] كفّه الزُّجاجةُ وَهْناً [3] ... فهى فيهـا جِراح تلك الـكُلوم
فهو الرَّاحِلُ [4] المَطِىُّ الينـا ... من أباريقِ قَهْوَةِ الخرطوم
بِنْتِ كَرْمٍ أباحها كَرَمُ الجَو ... هَرِ منـه ورِقَةٌ فى الأديم
تَلْحَقُ الظَّبْىَ والظَّليم من الجَرْ ... ىِ وتُزْرى بكرْبَة المَغْموم

---

(١) تذممت : استحييت واستنكفت
(٢) أندبت : جرحت جرحا خفيفاً
(٣) الوهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه
(٤) الراحل مأخوذ من قولهم : رحل البعير : حط عليه الرحل

وَنَدِيمٍ فَدَيْته من نَدِيم وَجْهه جالِبٌ لكلِّ نَعِيم
مجّ فى الكأْسِ رِيقَه وسقانى من شَرابٍ مُعَتّقٍ مَخْتوم

ثم قال : من لا يعجبه هذا الوصف فأمه زانية ، وأم من يرجع فى هبته زانية . وأخذ بيد الغلام وخرج ، فلم أقدر أن أكلمه بمنطقه

« شربه مع الأمين وندمائه وغلبته فى الشّرب عليهم »

كان محمد الأمين شديد المحبة للشراب ، فاصطبح يوماً مع ندمائه ، وأبو نواس عنده . فقال محمد : نريد أن نشرب اليوم كلنا ، لننظر أينا أجود شرباً ، ولأجود القوم شرباً حكمه . فلم يزالوا يشربون الى نصف الليل . ثم هوّم[1] القوم سكراً ، وبقىَ محمد وأبونواس وكَوْثر يشربون . ثم نام محمد وكَوْثر ، وبقى أبو نواس وحده . فلما لم ير له مساعداً أغفى غفوة ، ثم انتبه ووضع الشراب بين يديه ، ثم قام الى الندماء يحركهم واحداً واحداً ليشربوا معه ، فوجدهم مَوْتى لا حراك بهم . فقال : ليس لى الا محمد ، فجاء الى مرقده وصاح به : يا سيدى يا أمير المؤمنين : ليس هذا من الانصاف ، نشرب نحن وأنت نائم ؟ فانتبه وقعد يشرب معه . فقال له محمد الأمين : ويلك ! ألَستَ أنت من الناس ، لا تنام مع ما قد شربت ؟ . فقال له : يا سيدى ! أليست لذة الشراب تقوم مقام لذة النوم ؟ فشربا باقى ليلتهما ، ثم أراد محمد أن ينام بعد أن أصبح سكراً . فقال أبو نواس : يا سيدى على رسلك ، ثم قال :

ونَدْمانٍ يَرَى غَبْنًا عليه بأَن يُدْعىٰ وليس به انْتِشَاءُ
إذا نادَيْتَه من نَوْم سُكْرٍ كَفاه مَرَّة منكَ النِّداء

---

(١) هوّم القوم : هزوا رءوسهم من النعاس

فليس بقائلٍ لك : إيهِ ، دَعْنِى ولا مُسْتَنْجِزٍ لك ما تَشَاءُ !!
ولـكن : يَا اسْقِنِى ، ويقول أيْضًا : عليك الصِّرْفَ إن أعْيَاكَ ماءُ [1]
إذا ما أدْرَكَتْه الظُّهْر صَلَّى فلا عَصْرٌ عليه ولا عِشَاءُ
يُصَلِّى هذه فى وقْتِ هَذِى فَكُلُّ صَلاتِه أبَدًا قَضَاءُ
وذَاكَ مُحَمَّدٌ تَفْدِيه نَفسِى وحقَّ له ، وقَلَّ له الفداءُ !!!

فقال محمد : أحسنت والله . يا كوثر أعطه بحياتى بكل بيت ألف درهم . فقال أبو نواس : هذه حق الأبيات ، فأين حقى عليكم بالشرب ؟ قال قل ما شئت ! قال : مثل حق الأبيات ، قال : وتعمل ماذا ؟ قال : يا سيدى ، أبكر فى هذه الليلة الطيبة الى الفرات ، فانى قد هجرتها منذ أيام ، فأتنزه ، وأشرب ، وأفسق ، وأرجع . قال : يا كوثر أعطه ما طلب ، لا بارك الله له

« ما قاله فى غلام قد بدا عارضه »

نظر أبو نواس إلى غلام قد ابتدأ عارضه [2] ، فقال :

بَدَا الشَّعْرُ فى خَدَّيْه فازْددتُ صَبْوَةً
إليه ولم يَهْدَ الجَوَى والتَّشَوُّقُ
وأحسنُ ما كان القَضيبُ نَضارَةً
الى العَينِ فى أزمانه حين يُورِق

---

(١) قوله : يا اسقنى . أى يا رجل اسقنى . وقوله : عليك الصرف أى الزم الصرف وهى الخمر ويروى : ان أعياك داء

(٢) العارض جانب الوجه ، وابتدأ أى نبت فيه الشعر .

وقال فى جنان :

أنْضَيْتِ أحْرَفَ لا مِمَّا لهِجْتِ بها
فَحَوِّلى رَحْلَها عَنْها الى نَعَم
أو حَوِّليها الى لا[1] فَهْى تَعْدِلُها
إن كُنتِ حاوَلْتِ فى لا قِلَّةَ الكَلِم
قِسْتُم علينا فَحَاولْنا قِياسَكُمُ
يا مَن تباعَدَ عن جُودٍ وعن كَرَم
ولستُ — تَفْديكُم نَفسى — أَعُمِّلُكم
ثِقلى بعَيْن ولا كَفٍّ ولا قَدَم

« أبو نواس وغلام فى عينه كوكب »

قال يوسف النحاس المعروف بابن الداية ، المشهور بصحبة أبى نواس : نظر أبونواس الى غلام مقنّع قد أخرج فَرْدَ عين ، واذاهو أحسن الناس فى تلك الهيئة ، فمازحه ، فرآه ظريفاً حلو النغمة ، فقال لى : عليك به ، فتأملت وجهه فاذا فى عينه كوكب[2] ، فقلت له : يا ويلك ! أنت أعمى تتعشق العميان ؟ أما ترى

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله أراد : الى « إى » بمعنى نعم أو ما ماثلها فى المعنى . وفى الديوان : أو حوليها اليها فهى تعدلها ، وهو خطأ كما هنا ، وليحرر

(٢) الكوكب بياض فى جميع العين

الكوكب فى عينه أعظم من كوكب الذَّنَب ؟ فأراد أن ينصر هواه وخطأه ويغالطنى ، فقال :

أحْوَرُ المُقْلَةِ من غَيْرِ دَعَجْ ... لَوْ عَداه عَوَرُ العَيْنِ سَمُجْ (١)

تَحْسَبُ النُّكْتَةَ فى ناظِرِه ... دُرَّةً بَيْضاءَ فى قَصٍّ سَبَجْ (٢)

فقلت له : قاتلك الله ، حببت والله بشعرك وظَرْفك العُورَ الى البَشَر

قال الجماز : أنشدنى أبو نواس يعاتب عمرا الورّاق :

يا واضِعاً بَيْضَ القَطَا ... تَحْتَ الزَّمامِجِ للفِراخ : (٣)

لو أيْقَنَت ما تحتها ... لم تأْلُ من نَقْرِ السِّماخ (٤)

يا غارساً بيمينه ... شَجَرَ الحِفاظِ على السِّباخ (٥)

فسَدَ الخَلائِقُ كلُّهم ... فانظر لنفسك من تُؤاخى !

وقال أيضاً يعاتبه :

يامَادِحَ القوم اللئا ... مِ وطالباً رِفْدَ الشِّحاح :

إشْغَلْ قَريضَكَ بالنسيـ ... ـب وبالفكاهَةِ والمِزاح

---

(١) أحور ، من الحور بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ويبيض ماحواليها ، والدعج سواد العين مع سعتها ، وسمج أى قبح

(٢) النكتة بالضم النقطة ، والسبج جمع سبجة وهى كساء أسود

(٣) الزمامج جمع زمجى كزمكى ، وهو أصل ذنب الطائر

(٤) السماخ كالصماخ للاذن وزناً ومعنى

(٥) الحفاظ بالكسر : المواظبة والذب على المحارم . والسباخ بالكسر جمع سبخة وهى أرض ذات نزّ وملح

حَدَثَتْ وُجوهٌ ليس تأْ لَمُ غير أطراف الرِّماح
وأكفٌّ قوم ليس يُنـ ـبِطماءَ هاغيرُ المَساحى (١)
ما شِئْت مِن مال حِمًى يأْوِى الى عِرْضٍ مُماح

« وصف أبى نواس لأسبوع أقامه مع عيسى بن »
« أبى جعفر المنصور بالقفص (٢) »

عزم عيسى بن أبى جعفر المنصور على أبى نواس أن يقيم معه بالقَفْص أسبوعا ، وحمله ، وخلع عليه ، ووصله . فلما أقاموا الأسبوع ، وأرادوا الانصراف ، قال له : بحياتى عليك ! صف مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول :

يا طِيبَنَا بقُصُور القُفْصِ مُشْرِقَةً
فيها الدَّساكِرُ (٣) والأنهار تَطَّرِدُ
لمَّا أَخَذْنا بها الصَّهْباءَ صافِيةً
كأَنها النَّارُ وسْط الكأْسِ تَتَّقِدُ
جاءَتْك من بَيت خَمَّارٍ بطِينَتِها
صَفْراءَ مثلَ شُعَاعِ الشَّمسِ تَرْتَعِد

---

(١) المساحى جمع مسحاة ، وهى المجرفة . وتقال للفأس ايضا
(٢) القفص بالضم : بلدة بين بغداد وعكبراء
(٣) الدساكر جمع دسكرة وهى القرية والصومعة وبيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، أو بناء كالقصر حوله بيوت

فقام كالغصن قد شدّت مناطقه
ظبيٌ يكاد من التهييف ينعقد
فاستلّها من فم الإبريق فانبعثت
مثل اللسان جرى ، واستمسك الجسد
فلم نزل في صباح السبت نأخذها
والليل أجمعه حتى بدا الأحد
ثم ابتدأنا الطلا باللهو من أمم
في نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الاثنين واضحة
والسعد معترض ، والطالع الأسد
وفي الثلاثاء أعملنا المطيّ بها
صهباء ما قرّعتها بالمزاج يد
والأربعاء كسرنا حدّ سورتها
والكأس يضحك في تيجانها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته
قصفاً وتمّ لنا بالجمعة العدد

يا حُسْنَنا ! وبِحارُ القُصْفِ تَغْمرنا
فى لُجَّةِ اللَّيـل والأوتار تَغْتَرد !
فى مَجْلِسٍ حَوله الأشجارُ مُحْدِقةٌ
وفى جَوانبـه الأَنهـار تَطَّرِد
لا نَسْتَخِفُّ بسـاقِينـا لِغِـرَّتِه
ولا يَرُدُّ عليـه حُكْمَه أحـد
عنـد الأَمير أبى عيسى الذى كَمُلَتْ
أخلاقُه فهى كالأَوراق تُنْتَقَـد

« عذل قوم أبى نواس له وتزويجه بجارية جميلة ، ثم تطليقها »

« بعد ذلك وهجاؤها »

قدم على أبى نواس أهله من البصرة يعذلونه على فعله ، ويقولون له : يا هذا ، انه قد نفد عمرك ، وساء عملك ، فلو تزوجت امرأة من أهل بيتك رجونا أن تقصر عن بعض ما أنت فيه . فأبى عليهم ، فما زالوا به حتى زوجوه جارية جميلة من أهل بيتـه . فلما دخل بها أعرض عنهـا ، وخرج الى غلمان كانوا يأتونه ، فجمعهم وألبسهم الأزر المعصفرة ، وخلا بهم يومه . فلما أمسى طلقها ، وأنشأ يقول فيها :

صاحبة القَرْقَر لا تَشْغَبى[1] تَحَمّلى طالِقَةً واذْهَبى

---

(١) القرقر : لباس النساء خاصـــة . ويقال للصحراء البارزة : قرقر أيضا . وقوله : لا تشغبى من الشغب وهو تهييج الشر

مُرِّى فَكَم مثلكِ من حُرَّةٍ ... رائعةٍ لم تَكُ من مَطْلَبى

لا أبْتغى بالطِّمْث مَطْمومَةً ... ولا أبيعُ الظَّبْىَ بالأرنَب

لا أشتهى الحَيْضَ ولا أهْله ... غيرُكِ أشهى منكِ فى المَرْكَب

أو لا فإن كنتِ غُلامِيّة ... من شَرطِ مثلى ، فَرِدِى مَشْرَبى

لا أُدخِلُ الجُحْر يَدِى طائعاً ... أخْشى من الحَيَّة والعَقْرَب

وقال أيضاً فى المعنى :

وعاذِلةٍ تلومُ على اصْطِفائى ... غُلاماً واضِحاً مثلَ المَهاة

وقالت : قد حُرِمْتَ ولم توفَّقْ ... لطيب هوىً وِصَالِ الغانيات

فقلتُ لها : جهلتِ فليس مثلى ... يُخادع نفسه بالتُّرَّهات

أأختار البحار على البَرارى ... وأحْيانًا على ظَبْى الفلاة ؟

دَعينى لا تلُومينى فإنى ... على ما تكْرهين الى الممات

بذا أوْصَى كتابُ الله فينا ... بتفضيل البَنين على البنات

وروى أنه لم يتزوجها ، وأنهم دسوا اليه امرأة ، وقالوا لها : كَلِّميه . فجعلت تقول له : قد وجدت لك امرأة جميلة موسرة ، ولها دار سرية كبيرة تجعلها لك . فقال لها : ويحك ! لست أنت أدعى الى الرشد من الله عزَّ وجل ، وقد دعانى اليه وأبيت . وليست المرأة التى تصفينها بأحسن من الحُور العِين ، ولا الدار التى تذكرينها بأحسن من الجنة ، وكل هذا قد بذله لى من هو أصدق منك — اذا ارْعَوَيتِ — فلم أقبل ، فكيف أقبل منك أنت ؟ ثم قال :

أقول لها لما أتتنى تَدُلُّنى

على امْرأةٍ مَوْصوفةٍ بجَمَالِ :

أصبتِ لها يا أُختِ فَحْلاً كما اشْتَهَتْ

اذا اغْتَفَرَتْ منى ثَلاثَ خِصَالِ :

فمنهن فِسْقٌ لا يُنادى وليدُه ،

ورِقّةُ إسلام ، وقِلَّة مَالِ ! ! !

ولو أنَّها فى الحُسْنِ كانت كيوسُف

وَبَلْقِيس ، أو كانت كخطِّ مِثالِ

وقالتْ : تَزَوَّجْنى على مَهر دِرْهمٍ

لقلتُ : اعْزُبى عَنِّى ، فَمَهْرُكِ غَالِى ! ! !

فقال أهله : والله لا أفلح هذا أبداً ! ويئسوا منه

وقال أيضاً فى ذلك :

طَمَعَتْ فِىَّ قَحْبَةٌ رُبَّ رَاجٍ مُخَيَّبِ

قلتُ لما رأيتُها : إِذْهَبِى أنتِ واعْزُبى

لَسْتِ والله مدخلاً أصْبعى جُحرَ عَقْرَب

أبتَغِى لى موَاجَراً واذْهَبِى أنْتِ قَحِّبِى

« ما قاله فى صديق له استأثر عليه بغلام »

روى أن صديقاً لأبى نواس استأثر عليه بغلام واحتجب عنه داخل منزله ، وقف على الباب وقال :

إتَّقِ اللهَ ربَّكا لا تَنيكَنَّ وَحْدَكا

إنَّ مَن ناكَ وحْدَه كان بالله مشْرِكا

فصاح به : ادخل عليك لعنة الله

ويقال : إن هذه الحكاية كانت مع الأمين ، وأنه أهدى له مملوك ، فأخذ بيده الى بعض المراقد ، وأن أبا نواس أنشده :

إتَّقِ اللهَ ربّكا لا تَنيكَنَّ وَحْدَكا

رافعاً صوته . فارتاع الأمين لذلك ، وهاله الصوت ، فخرج اليه وقال : سمعت يا حسن ما سمعت ، قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : سمعت هاتفاً يقول :

* اتق الله ربكا *

قال : نعم يا أمير المؤمنين . . . . لا تنيكن وحدكا

ان من ناك وحده كان فى اللؤم مثلكا

فقال له الأمين : خذ بيده ، لا بارك الله لك فيه

« ما قاله لرجل كان معه فى سجن الرشيد ووصفه لجلد عميرة »

لما حبس الرشيد أبا نواس لشر به الخمر ، كان كثيراً مايلعب الشّطْرَنْج والنَّرْد فى رَحْل رجل آخر معه فى الحبس ، وهو خميس مولى حسين بن حسن بن زيد بن على زين العابدين . فجاءه أبو نواس يوما فوقف على بابه ، فسمع نَفَساً عالياً ، فتوهم

أن عنده غلاما . فوقف بالباب ينتظر فراغه . فلما سكن نَفَسه دفع الباب ودخل ، فاذا ليس عنده أحد ، فعلم أنه كان يجلد عميرة . فضحك وأنشأ يقول :

إذا أنت أنكحت الكريمة كفأها
فأنكح خميسا راحة ابنة ساعد

وقل : بالرفا ما نلت من وصل حرة
لها ساحة حفت بخمس ولائد

تعففه ما دام فى السجن ثاويا
وما خالفته مصمتات الحدائد

فإن جرت الأقدار يوما بفرقة
تبدل منها كل بيضاء ناهد

وأبو نواس أول من نعت الدلك فى شعره . وتبعه على ذلك جماعة من الشعراء فلم يحسن أحد احسان الباذانى الأصبهانى حيث يقول :

لى عرس حرة مملوكة حزتها من غير مهر وثمن
ثيب بكر ومالى حيلة ولها خمس بنات فى قرن
إن أصلها وصلت طائعة واذا ما بنت عنها لم تبن
ضيقها والرحب من منكحها أحرزت ، والدهر فى كف الختن
واذا بيض الغوانى نعمة مسن فى الأذيال ماست فى بدن

ليس فيها ما يُرى من حُرّةٍ ... من جمال ، غير لِينٍ وعُكَنْ
وهى فى كَدٍّ وكَدْحٍ دائبٍ ... لا تَشَكَّى من عياءٍ وعَنَن
وتَرى الرشْدَ ولا عينَ لها ... وكذا تسمع من غير أذن
حيثُ ما صُلْتُ بها واقعتُها ... فى خَلاءٍ ومُقامٍ وظَعَن
ثم لا تلحقنى غَيْرتُها ... إنأنكْ مَن بين بُصْرى وعَدَن
يالها من كَنَّةٍ يُقْنِعها ... كلُّ ما يأتى به هذا الزَّمَن

« ما قاله فى جارية اسمها نرجس »

قال سهل بن أبى سهل بن موارب : سألت أبا نواس أن يشرب عندى أياما متتابعة لا يمضى فيها الى أحد . فأجابنى الى ما طلبت . فأعددت ما أحتجنا اليه من سماع وغيره ، وأخذنا فى الشرب . فلما كان فى آخر النهار وعمل فيه الشراب ، جعل يشكو وجده بجارية قد أحبها ، ويقول : انه ما تهنئه لذة بسببها . فقلت له : ويلك ! أتعشق النساء ؟ قد انتكست ! قال لى : بل هو ما قلت لك . فقلت : سمها لى ، وعرفنى خبرها لأعاونك عليها ، وأعمل لك فى أمرها . فاستحى منى ، وطوى عنى شأنها ، وجعل يقول : لست تعرفها ، ولا أعرف أنا اسمها من غير أن تقدر عليها . فقلت له : صف لى خلقها فلعلى أقع عليها ، فانشأ يقول :

كَفَاكَ ما مَرّ على راسى ... من شَادنٍ قَطع أنفاسى
أكثرُ ما أبْلغُ من وَصْفِه ... تحَدُّثى عن قلبه القاسى
أغارُ أن أبعثَ منه الذى ... يَبعثُه النَّاسُ من النَّاس

ولم أر العشاق قبلى رأوا بوَصفٍ من يَهْوُون فى النَّاسِ
كل أحاديثى سوى نعتها منكشفٌ عنى لجُلاَّسى
لا حَبَّذا الشِّرْكة فى حبها وحَبّذا الشِّرْكة فى الكاس!!!

فلما رأيت أنه لا يحب أن يعلمنى سكتُّ عنه . فلما كان الليل ، سكر ، ونام كل من عندنا ، فغفوت غفوة ، ثم انتبهت فاذا هو قاعد وحده . فقلت : أبا على ! مالى أراك ساهراً ؟ لعله فكرة فى ذلك الرجل ؟ قال : إى والله ، ثم قال لى : اسمع . قلت : هات ، فأنشدنى :

رَسْم الكَرَىٰ بين الجُفون مُحيل عَفَّى عليه بكى عليه طويل
يا ناظِراً ما أقلعتْ لحظاتُه حتى تَشَحَّط بينَهن قَتِيل
أحللتَ من قَلبى هوَاكَ محلةً ما حَلّها المَشروب والمأكول
بكمال صُورَتك التى فى مثلها يُتَخيّر التشبيهُ والتمثيل
فوق القصيرة ، والطويلةُ فوقها دون السمين ، ودونها المهزول!!!

فقلت له : ذكرت قدها ، وأحسبنى وقفت عليها . فقال : هيهات (يؤيسنى بذلك أن أعرفها) وقد كنت أراه يحدّ النظر الى جارية لبعض أهلنا ، يقال لها نرجس ، تجيئنا بالطرفة بعد الطرفة من عند مولاتها مراراً . فقلت : ما عنى غيرها ، ثم أمسكت . فلما كان الغد ، قلت للساقى : حف عليه فى السَّقْىِ ، فحاف عليه ، فسكر سكراً ما رأيته قط سكر مثله . فبينا هو فى سكره اذ قال :

أحْرُفٌ أربعٌ سَبَيْنَ فؤادى لم أُذُقْ بعدهن طَعْم الرُّقاد

غير أنى أحتالُ فيهن مَعْنًى وأُعادى به جَميعَ العِباد !!

فاستَيْقنتُ أن نَرْجسَ صاحبته . فوجهت الى مولاتها أن تبيعنيها ، فوجهتْ الىّ : قد وهبتها لك . فلما أفاق أبو نواس اصطبحنا ، فقلت له بعد ان شربنا أرطالا : أتحب أن تشرب اليوم مع حبيبتك ؟ قال : خذ فيما يكون ، قلت : يا غلام أحضر ذلك الرجل ، فدخلت نرجس . فلما رآها بهت ناظراً اليها ، فقلت : لا تطول ، هى لك ، فضحك وقال : أو تملكها حتى تَهَبها لى ؟ قلت : نعم ، البارحة وأنت سكران قلت كذا وكذا ، وتيقنت أنها نرجس . فقام من فوره وقال :

يا سالِبَ الأذهان بطَرْفِه الفتّان
يا وَرْدَةً فى بهار يا زَهْرة الزَّعفران
يا نَرْجِساً وخُزامىٰ فى زُمْرة الرَّيْحان
يا أغصُناً تَتَثَنَّى فى ساحة البُسْتان
يا عَسْجَداً فى لُجَينٍ فى نَشْوة الصِّبيان
ياطَلْعةَ الشمس قبل الـ زّوال والنُّقْصان
يا وَرْدة فى نظام الـ ياقُوت والمَرْجان
يا لُؤلُؤاً يتلالا فى حُمْرة العِقْيان
لا تَتْرُكَنِّى مُعَنًّى بطرْفِكِ الفتّان

وقال أيضاً فيها :

يا قمراً فى السماء مَسْكنُه ونَرْجِسَ الأرض فى البساتين

يا حِزَم الباذَنوس بالمِسْكِ والـ عنْبَرِ فى نَكْهَةِ الرساطون

يا ياسَمِيناً بالمِسْكِ مختلطاً يا جلّناراً فى طِيبِ نَسْرِين

خُلِقت من مِسْكةٍ مُزَعْفرةٍ أشبهِ شىءٍ بُخرَّد العِين

« ما قاله للأمين حين وصلت اليه الخلافة وعنده »

« الشعراء والخطباء يمدحونه »

لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين ، وولى الفضل بن الربيع الوزارة ، تفرغ محمد للهو والصيد والنزهة ، وكان لا يخرج الا لصيد أو لنزهة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند والقوّاد فركبوا ، ولبس ثيابه ، وتقلد سيفه ، وأعدت الحراقات والزلاجات فى دجلة . فقال له إسماعيل بن صبيح ، وكان كاتب سرّه : يا أمير المؤمنين إن قوّادك وجندك وعامة رعيتك قد خبثت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وكبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم . فلو جلست لهم ساعة من نهار ، فدخلوا عليك ؟ فان فى ذلك تسكيناً لهم ، ومراجعة لآمالهم . فجلس فى مجلسه وأذن للناس عامة فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا ، والشعراء فأنشدوا . فلم يكن أحد منهم يتعدّى الى الاطناب والتطويل ، الا أمر بالسكوت ، ومنع من القول

وقام فيمن قام أبو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء أهل حَجَر وَمَدَر ، وإبل ، ووَصفٍ للبقر ، وبيوت الشعر ، قد جفّت ألفاظهم ، وغلظت معانيهم ، ليس لهم بَصَر بمدح الخلفاء ونشر مكارمهم . فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إنشاده فليفعل . فاذن له ، فأنشده :

أيا دَارِها بالماءِ حتى تُلينَها
فانْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حتىَّ تُهينَها
أُغالِي بها حتىَّ اذا ما مَلَكتُها
أهَنْتُ لإكرام الخليل مَصونَها
وصَفْراءَ قبل المزْج بَيْضاءَ بعده
كأَنَّ شُعاعَ الشَّمس يَلْقاكَ دُونَها
ترى العَيْن تَسْتَعفِيك من لَمعانِها
وتُحْسِرُ حتَّى ما تُقِلُّ جُفُونَها
تروع بنَفْس المَرءِ عما يَسُوءُه
ويخْذلُه ألاَّ يُذَال قَرِينُها
كأنَّ يَواقِيتاً رَواكِدُ حولَها
وزُرْقَ سَنانِيرٍ تُدِيرُ عُيونَها
وشَمْطاءَ حَلَّ الدَّهرُ منها بنَجْوَةٍ
وَلِفْتُ اليها فاسْتَلَلْتُ جَبِينَها
كأنَّا حُلولٌ بين أكْناف رَوْضَةٍ
إذا ما سَلَبناها مع اللّيل طِينَها

الى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أنهك عن شرب الخمر ، قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتنى عنهـا ومنعتنى من شربها . وأنا الذى أقول :

أيُّها الرّائِحانِ باللَّوْم لُوما ... لا أذوق المُدَام الاَّ شَمِيما
نَالنِى بالمَلام فيهـا إمامٌ ... لا أرى لى خِلافَه مُسْتقيما
فاصْرِفاها الى سِوَاى فإنى ... لستُ الاّ على الحديثِ نَدِيمـا
كُبْرَ حظّى منها إذا هى دَارَتْ ... أنْ أراها وأن أشمَّ النَّسِيما
فكأنى وما أُزَيِّنُ منها ... قَعَدِىٌّ يُحَسِّنُ التَّحْكِيما[1]
كَلَّ عن حَمْلِهِ السِّلاَح الى الحرْ ... بِ فأوصَى المطيقَ أن لا يُقِيما

فتبسم محمد ، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

تَرَقَّ فى فضـائله الأمين ... وزَايِلَه المُشـاكِل والقَرين
وأورق زَهْرَةَ التَّقْوىٰ وعَزَّتْ ... خِلافَتُه وصُدِّقَتِ الظُّنُون
تَمَسُّ مَنَابِرَ الخُلَفاءِ منـه ... يَدٌ بِخلافِ طاعتهـا المَنُون
يخافُ الخوفُ صَوْلَتَه ويرجو ... نَدَاه الجودُ فهو له خَدِين

---

(١) القعدى من الخوارج الذى يرى رأى القعد الذين يرون التحكيم حقا ، غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس . وقال بعض مجان المحدثين (يريد أبا نواس) فيمن يأبى أن يشرب الخمر وهو يستحسن شربها لغيره ، فشبهه بالذى يرى التحكيم وقد قعد عنه فقال :

فكأنى وما أحسن منها ... قعدى يزين التحكيما (عن لسان العرب)

فقال عدة ممن حضر : قد أوجز وأجاد ، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر منه يا أمير المؤمنين الذى يقول :

ألاَ يا خيرَ من رأتِ العيون : نَظِيرك لا يُحَسُّ ولا يَكون
وفَضْلك لا يحَدُّ ولا يجَارَى و لا تَحْوِى حِيازَتَه الظُّنون
فأنتَ نَسِيجُ وَحْدِك لاشبيهٌ نُحاشِيه عليك ولا خَدِين
خُلِقْتَ بلا مُشاكلَة لشىءٍ فأنتَ الفَوْق والثَّقَلانِ دُون
كأنّ الملكَ لم يَكُ قبلُ شيئاً الى أن قام بالمُلْك الأَمين

قال : ففضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : انه قالها بديهاً

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك ، فركب الحراقة الى الشماسية ، واصطفت له الخيل وعليها الرجال — على شاطئ دجلة ، وحملت معه المطابخ والخزائن . وكان ركوبه حراقة [١] على مثال الأسد . فما رأى الناس منظراً كان أبهى ، ولا مسيراً كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادمه ، فقال :

سَخَّر الله للأمين مَطَايا لم تُسَخَّر لصاحب المحراب [٢]
فاذا ما رِكابُه سِرْن بحراً سار فى الماء رَاكِباً لَيْثَ غاب
أسَداً باسِطاً ذِرَاعَيْهِ يَعْدو أهْرتَ الشِّدْق كالِحَ الأنياب [٣]

---

(١) وذلك انه كان للامين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة ، وهى الليث والعقاب والدلفين

(٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود عليه السلام لانه بنى بيت المقدس

(٣) أهرت الشدق : واسعه . وكالح الانياب : كاشرها

لا يعانيهِ باللِّجام ولا السَّو ط ولا غَمْزِ رِجْله فى الرِّكابِ
عَجِبَ الناس إذ رَأَوْكَ على صُو رَةِ لَيثٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب
سَبَّحوا اذ رأوكَ سِرْتَ عليه كيف لو أبصروكَ فوق العُقاب
ذَاتِ زَوْوٍ ومِنْسَرٍ وجَنَاحَيْنِ تَشقُّ العُباب بعد العُباب
تَسبِق الطَّيرَ فى السماء اذا ما أُسـ ـتَعْجَلوها بجَيْئَةٍ وذَهاب
بارَكَ اللهُ للأَمين وأبقا هُ وأَبْقَى له رِداءَ الشَّبابِ
مَلِكٌ تَقْصر المدائح عنه هاشِمِيٌّ مُوَفَّقٌ للصواب

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس فى محمد ، وقد ركب حراقته الدُّلْفِينَ[1] فقال له شيخ الى جانبه : اتق الله يا هذا ، فقال له أبو نواس : يا شيخ ان الله لم يسخر لصاحبِ المحراب الدُّلفين ، وقد سخر له ما هو خير من الدلفين ، فأى شىء تنكر من هذا ؟

« الرياشىّ وقصيدة أبى نواس المتقدمة »

قال الحسن بن على الرياحىّ : قال لى الرياشِىُّ ذات يوم ، وقد خلا مجلسه : أنشدنى قصيدة ابى نواس التى اولها : أيا دارها بالماء حتى تلينها . فقلت له : ما أحفظها ، فقال : ويحك ! بصرىٌّ ، شابٌّ ، متأدبٌ ، متغزلٌ ، يُسأل عن شعر شاعر مصره ، ورئيس عصره ، فيذهب عنه ؟ والله انى لفى سن جدك ، وانى لأفكّه نفسى فى اليوم مَرَّاتٍ بها وبأشباهها من شعره . فقلت : تقصير

---

(١) الدلفين سمكة كبيرة بحرية . وقيل : هى دابة فى البحر تنجى الغريق

وقع ، وشغل شغل ، و إغفال للفائدة فى ذلك ! ولكن تفضل علىَّ باملائها ، فأملاها على وكتبتها . ثم قلت له : ما معنى قوله : فلن تكرم الصهباء حتى تهينها ؟ فقال : حتى تبذلها لاخوانك ، وتبتذلها بالشرب للناس فيمزجونها ، لأنها ما دامت فى دنها فهى غير معلوم فضلها ، فاذا أهنتها وبذلتها لهم ، فشربوها عرفوا فضلها فمزجوها ، ولا إكرام أكرم من المَزْج . فاهانتها : بذلها لشار بيها ، وتليينها بالمزيج . أى حتى يلين سقيها بالماء فتزول سطوتها التى تمنع من شربها وتطيب ، ويمكنك شربها ، فتشربها طيبة لينة ، فتعرف كرامتها

وهذا نحو ما قال الأخطل :

فقلتُ اقْتلوها عنكم بِمزاجِها فأطْيبُ بها مَقْتولة حين تقْتَل !

وقول الأخطل مأخوذ من قول حسان بن ثابت الأنصارى :

إنّ التى ناوَلْتَنى فَرَدَدْتُها قُتِلتْ ، قُتِلتَ ! فهاتِها لم تقتل

والشمطاء . الخابية . و بنجوة : أى ناحية . وتروع النفس ، روى فيه تريع أى ترجع

« الرشيد وما قاله أبو نواس فى الشيب »

قال الحسن بن أبى المنذر : لما قال أبو نواس :

دِيارُ نَوارٍ ما دِيارُ نَوارِ

كَسَوْنكَ شَجْواً هُنَّ منه عَوار[1] !!!

---

(١) وهى من جيد شعره ، يقول فيها :

أبت لك يا عباس نفس زكية بزبرج دنيانا وعتق نجار

يمدح بها العباس بن عبد الله بن أبى جعفر المنصور ، أنشدت للرشيد الى أن سمع قوله :

يقولون : فى الشَّيْبِ الوقَارُ لأَهْلِهِ

وَشَيْبى بحمْدِ الله غيرُ وَقار !!

فأمر الرشيد باحضاره ، وقال له : ويلك ! أتخالف الاسلام فى شىء من أمرك ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشيب الرجل المؤمن شيبة فى الاسلام الا كانت له حجاباً من النار » وتقول أنت كذا وكذا ؟ وما أظنك الا على غير دين الاسلام . فمن أين زعمت أنه غير وقار ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداك ! انظر الى البيت الذى بعده ، فقال : ما هو ؟ قال :

اذا كنتُ لا أنفكُّ عن أُرَيحيَّة

الى رَشَأٍ يسعى بكأْس عُقار (٢)

انما قلت : وشيبى بحمد الله غير وقار ، اذ كنت على هذه الحالة وأشباهها لما أجاوز به : من تعجيل الذنوب ، وتأخير التوبة ، فأقررت بالذنب ، ولم أجحد أن يكون هو وقاراً . قال : أنت أعلم بخبث لسانك وسريرتك ، وقبح عملك . فمن نَم شهدت بما شهدت به على نفسك

وأنك للمنصور منصور هاشم وما بعده من غاية لفخـــار
فجداك : هذا خير قحطان واجدا وهذا اذا ما عد خير نزاز
اليك غدت بى حاجة لم أبح بها أخاف عليهـــا شامتاً فادارى
فارخ عليها ستر معروفك الذى سترت به قدما على عوارى

(٢) ورواه فى الديوان هكذا :

اذا كنت لا أنفك عن طاعة الهوى فان الهوى يرمى الفتى ببوار
فها أن قلبى لا محـــالة مائل الى رشأ يسعى بكاس عقـار

« شرب أبى نواس الخمر ، وحبس الأمين له ثلاثة أشهر »
« ثم إطلاقه من سجنه بعد اعتذاره »

شرب أبو نواس الخمر ، فانتهى ذلك الى محمد بن زُبَيْدة ، فأمر به فحبس ثلاثة أشهر ، ثم دعا به وحوله بنو هاشم وغيرهم ، ودعا بالنِّطْع والسيف ، وأراد قتله ، فانشأ يقول :

تَذَكَّرْ أَمينَ اللهِ ، — والعَهْدُ يُذكَرُ — :
مَقامى وإِنْشَادِيكَ والنَّاسُ حُضَّرُ !
ونَثْرِى عليكَ الدُّرَّ يا دُرَّ هَاشِمٍ !
فيا مَن رأىٰ دُرًّا على الدُّرِّ يُنْثَرُ ! !
أَبوكَ الذى لم يَمْلُكِ الأرضَ مثْلُه ،
وعَمُّكَ موسىٰ الصَّفْوَةُ المُتَخَيَّرُ ،
وجَدُّكَ مَهْدِىُّ الهُدَىٰ ، وشَقِيقُه
أبو أُمِّكَ الأدنىٰ أبو الفَضْل جَعْفَرُ ! ! !
ومن مِثْلُ مَنْصورَيْك : منصورِ هاشمٍ ،
ومنصور قَحْطَانٍ إذا عُدَّ مَفْخَرُ ؟
فَمَنْ ذَا الذى يَرْمى بسَهْمَيْك فى العلا
وعبدِ مَنَافٍ والدَاكَ وحِمْيَرُ ! !

تَحَسَّنَت الدُّنيا بوَجْهِ خَليفَةٍ :
هو البَدرُ إلا أنَّه الدَّهر مُقْمِر ! !
إمامٌ يَسُوس الملك تسعين حَجَّةً
عَلَيه له منه رِداءٌ ومِئْزَر ! !
يُشِير اليه الجُودُ من وَجَناتِه
ويَنْظر من أعْطافِه حين يَنْظُر ! !
أيا خَيرَ مأمولٍ يرجَّىٰ : أنا امرؤٌ
أسيرٌ رَهينٌ فى سجونِكَ مُقْبَر
مَضَتْ لى شهورٌ — مُذْ حُبِسْتُ — ثلاثةٌ
كأَنِّىَ قد أذْنَبتُ ما ليسَ يُغْفَر
فإن كنتُ لم أذنِب ، ففِيمَ حَبَسْتنى ؟
وإن كنتُ ذا ذَنْبٍ ، فعَفوك أكْبَر ! !

فقال له الأمين : فان شربتها ؟ قل : دمى لك يا أمير المؤمنين . فخلّى سبيله

دخل أبو نواس على محمد الأمين ، فانشده يمدحه :

أُهدِى الثَّنَاءَ الى الأَمينِ محمدٍ ما بعده لِتِجارةٍ متَرَبَّص
قد يَنْقصُ القَمَرُ المنيرُ اذا استوىٰ وبَهَاءُ نُورِ محمدٍ لا يَنْقُص

وإذا بنُو المنصور عُدّ حَصَاهمُو فمحمّدٌ ياقُوتُهـا المتَخلص

صَدَق الثناءُ على الأَمين محمدٍ ! ومن الثّنَاءِ تكَذُّبٌ وتَخَرُّص ! !

فأراد إعناته ، فقال له : ماتركت لى شيئاً من ثنائك بعد قولك فى الفضل بن الربيع :

أوحَدَه الله فما مثـله لطالبٍ ذاكٍ ولا واجدِ

ليس على الله بمستَنْكَرٍ أن يَجْمَعَ العَالَمَ فى واحد (١)

فجعلته واحد الناس وجعلت العالم كلهم فيه . ثم تقول فى آل الربيع :

آلُ الرّبيـع فَضُلْتُمُو فَضلَ الخَميس على العَشير

مَن قَاس غيرَكُمُو بكم قاسَ الثِّمادَ الى البُحور (٢)

فقال : ياسيدى ! قد سبق من قولى فى أمير المؤمنين — أكرمه الله — ما لو استحضرته الآن اكتفيت به من عذرى . قال : وأى شىء قلت حتى أستحضره ؟ قال : قولى :

إذا نَحْن أثنَيْنَا عليكَ بصَالِحٍ

فأَنت كما نُثْنِي وفَوق الذى نُثْنِي

---

(١) البيتان من قصيدة يخاطب بها الخليفة هرون الرشيد ويمدح بها الفضل ، وأولها :

قولا لهرون امام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد :

نصيحة الفضـــل واشفاقه أخلى له وجهك من حاسد

يقول فيها قبل هذين البيتين :

أنت على ما بك من قدرة فلست مثـــل الفضل بالواجد

(٢) البيتان من قصيدة يمدح بها الفضل بن الربيع ، وأولها :

وعظتك واعظة القتير ونهتك أبهة الكبير

والخميس فى البيت الاول الخمس . والعشير العشر . والخمس أكبر منه . والثماد فى البيت الثانى الماء القليل لا مادة له

وإن جرَتِ الألفاظ يوماً بمدْحَةٍ

لغَيْرِك إنساناً فأَنْت الذى نَعْنى

وإنما هو شيء صدر فى وقت . فاستحسن الأمين ذلك منه وقدَّمه ، وكان ذلك سبب وصلته

« هجاؤه لسليمان بن أبى جعفر المنصور وإصراره عليه »

« وحبس الامين له بسبب ذلك »

كان أبو نواس قد هجا سليمان بن أبى جعفر المنصور وأحيف عليه ، وكان اذا هجا رجلا لم يكد يمدحه أو يرجع عن مكروهه ، فشكاه سليمان الى محمد الأمين بعد خلافته ، فقال . يا أمير المؤمنين ! حسن بن هانئ هجانى بغير قادح . فقال له ياعم . وما يرضيك ؟ قال : حبسه فى المطبق . فقال : ياعم ، أنحبسه بعد قوله :

قَد أصبحَ المُلْك بالمُنى ظَفِرًا ... كأَنما كان عاشِقاً قَدَرا

فَبَدَا باسِطاً يَداً إلى مَلِكٍ ... لم يَعْشَقِ الملكُ قَبْله بَشَرا

خَليفَةٌ يَعتنى بأُمَّتِـــه ... وإن أتتـه ذنوبُها غَفَرا

حتّى لو اسْطَاعَ من تَحَنُّنِهِ ... دَافَع عنها القَضَاءَ والقَدَرا

حَسْبُكَ وَجهَ الأمير من قَمَرٍ ... إذا طَوَى الليل دونَكَ القَمَرا

وبعد قوله ياعم :

تَضحَكُ الدُّنيا الى مَلِكٍ ... قامَ بالإسلام والسُّنَن

يا أمينَ اللهِ عِشْ أبَدَا عِشْ على الأيَّام والزَّمَنِ
أنتَ تَبقىٰ والفَناءُ لَنَا فاذا أفْنَيْتَنا فَكُنِ
كَيْفَ تَسْخُو النَّفس عنك وقد قُمْتَ بالغَالِي من الثَّمَنِ
مَنّ للنَّاس الذين فَنَوْا فكأَن البُخْل لم يكنِ

ولكن يا عم نجىء به صاغراً ، فيعتذر سامعاً مطيعاً ، وترضى يا عم ان شاء الله تعالى

ثم دعا به ، فأحضر ، فقال له الأمين : ويلك ! تهجو عمى وشيخى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، إن أبا أيوب متحامل على عبدك . فتكلم سليمان وقال : وما أنت وهجاؤك ؟ وما قلت الا ما يشبه قدرك ، وما قدرت على أكثر من قولك فى كلب مثلك ، (يعنى اسماعيل بن أبى سهل بن نيبخت) :

خُبْز اسماعيلَ كالوشْ ى اذا ما شُقَّ يُرْفَا

فحمى أبو نواس عند ذلك ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ان كنت قلت هذا ، فأنا الذى أقول :

يلاحِظهمْ وهُمُو يأكلو نَ طَوْرًا فرَادَى وَطَوْرًا مَعَا
فَيَمنعهم ذاك أن يَشْبَعوا وَيمنَعه الغَيظُ أن يَشْبَعا

فقال سليمان : يا أمير المؤمنين ، يقال فى شيخك مثل هذا وتُمْسِك ؟ فأمر بحبسه ، فبقى فى السجن دهراً . وكتب منه الى الفضل بن الربيع أبياته التى يقول فيها :

أنتَ يا ابنَ الرّبيعِ عَلمتَنى الخَيْـ

ـرَ وعَوَّدْتَنِيهِ والخيرُ عَادَه (١)

فعرض الأبيات على محمد ، وقال : يا أمير المؤمنين لقد انقطعت المادة من هذه الآداب بحبس هذا الشاعر . فلم يسمع منه ولم يطلقه . فكتب الى الأمين من المطيق :

تَذَكَّرْ أمِينَ اللهِ ، والعَهْدُ يُذْكَرُ

مَقَامى وإنْشَادِيكَ والنَّاسُ حضَّرُ

فأطلقه ، وتقدم اليه أن لا يهجو أحداً من الناس

قال الحسن بن محمد: ضربت لاسماعيل بن أبى سهل بن نيبخت (٢) طَارِمَة فى صحن داره ، فاصطبحنا أربعين يوماً ، ومعنا أبو نواس ، ما شق إسماعيل له رَغِيفا لتغيير الفم . فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خُبْزُ إسماعيـل كالْوَشْـ ـى اذَا ما شُقَّ يُرْفا

عَجَبًا من أثَرِ الصَّنْـ ـعَةِ فِيه كَيْفَ يَخْفَى

إنَّ رَغَّاءَكَ هَـذَا أَلْطَفُ الأُمَّةِ كَفّا

فاذَا قَابَل بالنِّصْـ ـفِ من الجرْدَقِ (٣) نِصْفا

---

(١) وهو من قصيدة يمدح بها الفضل بن الربيع ويستشفع به الى الأمين . وستذكر بتمامها فيما يأتى من هذا الكتاب

(٢) الطارمة بيت من خشب ونحوه ، كالقبة

(٣) الجردق بالفتح الرغيف ، معرب كرده

أَلطَفَ الصَّنعَةَ حتى لا يَرَىٰ مَطْعَنَ إِشفَا[1]

مثل ما جاءَ من التَّنُّ ور ما غادَرَ حَرفا

وله فى الماءِ أيْضًا عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا

مَزْجُه العَذْبَ بماءِ الـ ـبئرِ كَىْ يزداد ضِعفا

فهو لا يسقيك مِنْه مِثْل ما يَشرب صِرفا

وقال أيضاً يهجوه :

على خُبْزِ إسماعيلَ واقِيَةِ النَّحْلِ

فقد حلّ فى دار الامان من الأَكْل

وما خُبْزه الا كآوى يُرَىٰ أَبْنُه

ولم يُرَ آوىٰ فى حُزُون ولا سَهْل

وما خُبْزه إلا كَعَنقاءِ مُغْرِبٍ

تُصَوَّر فى بُسْطِ الملوك وفى المُثْل

يحدّث عنها النَّاس من غير رُؤية

سَوَىٰ صُورَةٍ ما إن تُمِرُّ ولا تُحْلِى

وما خبْزه الا كُلَيبُ بن وَائِلٍ

ومن كان يحْمِى عِزُّه مَنبتَ البَقْل

---

(١) المطعن : المفرز ، والاشفا بالكسر المثقب ، ومنه اشفا الاسكاف

وإذ هو لا يَستَبُّ خَصْمانِ عنده

ولاالصَّوْت مرفوعٌ بِجِدٍّ ولا هزْل

فان خُبْزُ إسماعيـلَ حلَّ به الذى

أصاب كُلَيباً لم يكن ذاك من ذُلّ

ولٰكِنْ قضاء ليس يُسْطاع رَدُّه

بحيلة ذى مَـكرٍ ولا فِـكْرِ ذى عَقْل

ولأبى نواس ، وربما نسب لغيره :

فأوَّل شُرْبك طَرْحُ الرِّداء وآخِر شُرْبك حلُّ الإزار

وما هَنَأَتك الملاهى بمثْـ ـلِ إماتة مجْدٍ وإحيـاء عار

ولو جَادَ دَهْرٌ بلَذَّاته على من يَضِنُّ بَخلْع العِذار[1]

« اجتماع أبى نواس بجماعة من الشعراء لمذاكرة ضروب الأدب »

« وأفانين العلم »

اجتمع أبو نواس مع جماعة من الشعراء : وهم ، داود بن رزين الواسطى ، والحسين بن الضحاك الأشقر الخليع ، والفضل الرقاشىّ ، وعمرو الوراق ، والحسين الخيّاط ، وعنان جارية النطاف ، واسمعيل القراطيسى ، ورزين الكاتب أخو دعبل بن على الخزاعى . ومضوا الى سوق الكرخ[2] فتذاكروا ضروب الأدب ،

---

(١) الى هنا انتهت الابيات فى الاصل . ولا يخفى مافيه

(٢) الذى فى الديوان ، فى باب النقائض انهم اجتمعوا على مجلس على الصراة (وهو نهر بالعراق)

قالوا : فأين نحن يومنا هذا ؟ فكل قال : أنتم عندى . فقالوا : فليقل كل واحد منا شعراً يصف به ما هو فيه ، وما عنده يُجتمع عليه . فمن أجاده صرنا اليه[1] . فقال أبو نواس :

ألا قُومُوا الى الكَرْخ ... الى مَنْزِل خَمَّارِ
الى صَهْبَاءَ كالمِسْكِ ... لَدَى جُؤْنَةِ عَطَّارِ
وبُستانٍ له نَهْرٌ ... لَدَى نَخْلٍ وأشْجارِ
فأُطْعِمْكم به لحماً ... من الوَحْشِ وأطْيَارِ
فإن أحْبَبْتُمُ لَهْواً ... أتيناكم بِمِزْمارِ
وإن أحببتُمُ نيكاً ... فنيكوا رَبَّةَ الدَّار

وقال داود بن رزين الواسطى :

قوموا لمنزل لَهْوٍ ... وظلِّ بيتٍ كَنِينِ
فيه من الوَرْدِ والنَّرْ ... جسِ والياسَمِينِ
وريحِ مِسْكٍ ذَكِيّ ... وفائح المَرْزَجُون
وقَيْنَةٍ ذات غُنْج ... وذات عَقْل رَصِين
تَشْدو بكل ظريف ... من مُحْكَمِ ابْنِ رَزِين

وقال أبو نواس أيضاً :

قوموا إلىَّ ثِقاتى ... قوموا بنا وحياتى

(١) ذكرت هذه القصة فى الديوان بأوفى مما فى هذا الكتاب ، فصححناها عليها

قوموا نَلَذُّ جميعاً بقول هَاكَ وهاتى
فإن أردتم فتاةً أتيتكم بفتاةِ
وإن أردتم غلاما صادفتمونى مُواتى
فشاوِروه مُجُوناً فى وقت كلِّ صلاة

وقال الحسين بن الضحاك الخليع :

الى الخليع فقوموا إلى شراب الخليع :
إلى شرابٍ لَذِيذٍ وأكْلِ جَدْيٍ رَضِيع
ونيك أحْوىٰ رخيم بالخنْدَرِيس صَرِيع
فى رَوْضة جادها صَوْ بُ غاديات الرَّبيع
قوموا تناكَوْا وَشِيكاً مثال كلِّ رقيع

وقال الفضل الرقاشى :

لله دَرُّ عُقارٍ حَلَّت ببيت الرَّقاشى
عذراءَ ذات اُحْمِرارٍ إنى بها لا أُحاشِى
قوموا نَدامَىَّ رَوُّوا مُشاشَكم من مُشاشِى
وناطِحُونى بكأس نِطاحَ سُودِ الكِباشِ
فإن نكلت فَحِلٌّ لكم دَمِى ومُشاشى

وقال عمرو الوراق : [1]

عُوجُوا إلى بيت عمرو إلى سَمَاعٍ وَخَمْرِ
وَنَاشِجَات علينا تُطاع فى كلِّ أمرِ
فَهَاك أحْلَى وأشْهَى من صَيْدِ بازٍ وَصَقْر
هذا وليس عليكم أولَىٰ ولا وقتُ عَصْر

وقال الحسين الخياط :

قَضَتْ عِنَانٌ علينا بأن تزورَ حُسَيْنَا
وان تَقَرَّ عليه باللَّهْو والقَصْفَ عَيْنَا
فما رأينا كظَرْف الـ حسين فيما رأينا
قد قرَّب اللهُ زَيْنَا منه وباعدَ شَيْنَا

وقالت عنان :

مَهْلاً أُفَدِّيكَ مَهْلاً عِنانُ أَحْرَىٰ وأَولىٰ
بأَنْ يُنالَ لَدَيْها أَشْهَىٰ النَّعيمِ وأحلىٰ

---

(١) عمرو الوراق هذا ، ذكره أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الاغانى فى ترجمة بن جامع ، وذكر له شعرا ، وقال : انه يروى لعبد الله بن طاهر ؛ وهو

فلو كان لى قلبان عشت بواحد وخلفت قلبـاً فى هواك يعذب
ولكنما أحيـا بقلب مروّع فلا العيش يصفو لى ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضا خوف هجرها وعلمهـا حبى لها كيف تغضب
ولى ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب ، الى أين أذهب ؟

فإنَّ عندى حَراماً من الشَّراب وَحِلاَّ
لا تطعموا فى سوائى من البَريَّة كَلاَّ
يا إخوتى خبِّرُونى : أجازَ حُكْمىَ أم لا ؟

وقال على بن الخليل :(١)

ألاَ قوموا جَماعاتٍ أخِلاَّئِى فَجيئُونى
إلى صَهْبَاءَ كالمِسْكِ وأبكارٍ من العِينِ
وألْحَانٍ بَدِيعاتٍ بِحُذَّاق الحُوَيْسِينِ
وإن أحبَبْتُمُوا نيكاً فَهَا إستى فنيكونى
ألاَ سخَّرَكُمْ ربِّى جميعاً أن تُؤَاتونى

---

(١) هو أبو الحسن على بن الخليل الكوفى مولى معن بن زائدة الشيبانى ، وكان يعاشر صالح ابن عبد القدوس لا يكاد يفارقه . فاتهم بالزندقة . ثم دخل على الرشيد يوم جلوسه للمظالم وفى يده عصا ، وعليه ثياب نظيفة ، وكان جميل الوجه ، حسن الثياب ، وفى يده قصة . فلما رآه الرشيد أمر بأخذ قصته . فقال له على بن الخليل : يا أمير المؤمنين ! أنا أحسن عبارة لها ، فان رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت . فقال له : اقرأها . فاندفع ينشده قصيدته التى أولها :

يا خير من وخزت بأرجله نجب الركاب بمهمه جلس

يقول فيها :

لله يا هرون من ملك بر السريرة طاهر النفس
ملك عليه لربه نعم تزداد جدتها على اللبس
تحكى خلافته ببهجتها انق السرور صبيحة العرس
من عترة طابت أرومتهم أهل العفاف ومنتهى القدس

حتى أتى على آخرها . فاستحسنها الرشيد وقال له : من أنت ؟ فقال : أنا على بن الخليل الذى يقال انه زنديق . فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، واختص به بعد ذلك (عن الاغانى)

وقال إسماعيل القراطيسى [١] :

ألاَ قُوموا جَماعاتٍ إلى بيتِ القَرَاطِيسِى
فقد جاء لنا عمرو بِظَبيٍ أمرَدٍ طُوسِى
وقَيْنَاتٍ من الحُورِ كَأمثَالِ الطَّوَاويسِ
وألوانٍ من الطَّيرِ وألوان من العِيس
وقد هَيّا التى جاؤا بها من أرض بَلْقِيس
فنيكوهن يا قوم على رَغْمِ أنْفِ إبليس

وقال رزين الكاتب :

ألا قوموا جماعاتٍ لِعندى لا إلى غَيرى
فعندى مجلسٌ حلْوٌ كثير الوَردِ والخيْر
وعندى مَن إذا غَنَّى تَهِمُّ الأرضُ بالسَّير
فنيكوا بعضكم بعضاً فما فى ذاك من ضَيْر
وإن كنتم تناكون فهذا دونكم أيرى

فقالوا : اليوم يومك ، فقم بنا . فصاروا اليه جميعاً

---

(١) هو اسماعيل بن معمر القراطيسى مولى الاشاعثة . وكان مؤلفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد الانصارى وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون ، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، ويساعدهم . روى أبو هفان عن الجماز ، قال : اجتمع يوماً أبو نواس والحسين بن الضحاك والخليع وأبو العتاهية وهم مخمورون فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسى : « ألا قوموا جماعات » الى آخر الابيات المذكورة (عن الاغانى)

واجتمع أبو نواس وهو صغير مع حمّاد عَجْرَد[١] ، ومُطِيع بن إياس[٢] ،

---

(١) هو حماد بن يحيي بن عمرو بن كليب ، ويكنى أبا عمر ، وهو مولى عامر بن صعصعة ، وقيل مولى بنى عقيل . وقيل مولى بنى كليب . وأصله ومنشأه بالكوفة . وكان فى أول أمره يبرى النبل ، ثم غلبت عليه صنعة الشعر فلم يتكسب بغيره . وهو أحد الحمادين الثلاثة . وهم حماد عجرد ، وحماد الراوية ، وحماد الزبرقان . وكانوا يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الاشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، كانهم نفس واحدة . وكانوا يرمون بالزندقة جميعاً ، وأشهرهم بها حماد عجرد . وسبب تلقيبه بعجرد ، أن أعرابياً مر به فى يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان ، فقال له : تعجردت يا غلام . فسمى بذلك (عن الاغانى)

(٢) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من بنى الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقيل هو من بنى ليث بن بكر . والدئل وليث أخوان لاب وأم . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين : الاموية والعباسية . وكان ظريفاً خليعا ، حلو العشرة ، مليح النادرة ، ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة . قال العتبى : قدم علينا شيخ من أهل الكوفة لم أر قط أظرف لسانا ولا أحلى حديثا منه ، وكان يحدثنى عن مطيع بن اياس ، ويحيي بن زياد ، وحماد الراوية ، وظرفاء الكوفة بأشياء من اعاجيبهم وظرفهم ، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدثنى عن مطيع بن اياس . فقلت له : كنت والله اشتهى أن أرى مطيعا . فقال : والله لو رأيته لرأيت منه بلاء عظيما . قال : فقلت : وأى بلاء ألقاه ، من رجل أراه ؟ فقال : كنت ترى رجلا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا افتضح به . روى أنه اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته . واصطبح يوم الاضحى ، وكتب الى يحيي بن زياد من الليل بهذه الابيات :

قد شربنا ليلة الاضـ ـحى وساقينا يزيد
عندنا الفهمى مسرو ـر وزمار مجيـد
وسليمان فتـانا فهو يبدى ويعيد
ومعاذ وعيـاذ وعمير وسعيـد
وندامى كلهم يقـ ـلز والقلز شديد
بعضهم ريحان بعض فهم مسك وعود
غابت الانحس عنهم وتلقتهم سـعود
فترى القوم جلوسا والخنا عنهم بعيد
ومطيع بن اياس فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديديـن وما حل جليد

قال : فأتاه يحيي بن زياد فأقام عنده وشرب معهم . وبلغت هذه الابيات المهدى . فضحك منها وقال : ننابك القوم ورب الكعبة

واجتمع هو ويحيي بن زياد وجميع أصحابهم ، فشربوا أياماً تباعا . فقال لهم يحيي ليلة من الليالى وهم سكارى : ويحكم ! ما صلينا منذ ثلاثة أيام ، فقوموا بنا حتى نصلى . فقالوا نعم .

ويحيى بن زِياد[1]، ووَالبَة بن الحُبابِ الأسَدىّ. فقالوا: ليكن منا اجتماع فى دار أحدنا. فقال حَمّاد عَجْرَد:

يا إخوتى عندى لكم بَطَّة ودَنٌّ خَمْر من رساطون
ولحم طَيْر وأتابيعه فإن نَشِطتم فأجيبونى
وأبتغى خَشْفاً تنيكونه جهدى، فان أبطأتُ نيكونى

وقال مطيع بن إياس:

عندى الملاهى جميعاً حَدِيثة وعَتيقَه
وقَرْقَطِىٌّ شَهِىٌّ يفُوحُ منه خَلُوقه
والخمر عندى عَتيقٌ يَشْفِى القلوبَ غَبُوقه

وقل يحيى بن زياد:

فقام مطيع بن إياس فأذن لهم وأقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك. فقال مطيع للمغنية: تقدمى فصلى بنا. فتقدمت تصلى بهم، وعليها غلالة رقيقة بلا سراويل. فلما سجدت بان فرجها، فوثب عليها مطيع وهى ساجدة فكشف عنه وقبله وقطع صلاته، ثم قال:

ولما بدا فرجها جاثماً كرأس حليق ولم يعتمد
سجدت اليه وقبلته كما يفعل الساجد المجتهد

فقطع القوم صلاتهم وضحكوا، وعادوا الى شربهم. وأخباره فى الزندقة والمجون كثيرة، وقد ذكرت فى الاغانى

(١) هو يحيى بن زياد الحارثى. أحد الشعراء المجان. كان صديقاً لحماد عجرد ومطيع بن اياس لا يكاد يفارقهما ولا سيما مطيع. وله أخبار وأشعار ذكرت متفرقة فى أخبار حماد وأخبار مطيع فى كتاب الاغانى

عندى نَبِيذٌ مُعَسَّل والمَوْصِلِىّ[1] وزَلْزَل[2]

---

(١) الموصلى : لقب يطلق على ابراهيم الموصلى بن ميمون أو ابن ماهان، المولود بالكوفة سنة ١٢٥ المتوفى ببغداد سنة ١٨٨هـ وله ثلاث وستون سنة. كان شاعرا كبيرا ومغنيا متقنا، غنى للمهدى والهادى والرشيد . ومن شعره فى موسى الهادى :

يا ابن خير الملوك لا تتركنى غرضا للعدو يرمى حبالى
فلقد فى هواك فارقت أهلى ثم عرضت مقلتى للزوال
ولقد عفت فى هواك حياتى وتغربت بين أهلى ومالى

واكتسب بالغناء مالا جزيلا، حتى حكى عن أحد أولاده أنه قال : لو عاش لنا لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة . وقال : نظرت الى ما وصل اليه من الاموال والغلات وثمن ما باع من جواريه فوجدته ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ (أربعة وعشرين ألف ألف درهم) سوى أرزاقه الجارية وهى عشرة آلاف درهم فى كل شهر ، وسوى غلات ضياعه . وكان كامل المروءة له طعام معد فى كل وقت

ويطلق الموصلى أيضا على ولده ، أبى صفوان اسحاق بن ابراهيم الموصلى. كان أديبا عالما ، راوية للاشعار ، متقدما فى الشعر. ومنزلته فى سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، وان كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه . فانه كان له فى سائر فنونه نظراء وأكفاء ، ولم يكن له فى الغناء نظير ، فانه لحق بمن مضى فيه ، وسبق من بقى . ووضع للناس جميعا طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله فأنارها . فهو امام أهل صناعته جميعا ورأسهم ومعلمهم. وكان المأمون الخليفة العباس بن الرشيد يقول فيه: لولا ما سبق على ألسنة الناس ، وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى ، فانه أولى به وأعف وأصدق ، وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديث ولقى أهله ، مثل مالك بن أنس الاصبحى ، وسفيان بن عيينة ، وهشيم بن بشير ، وابراهيم بن سعد . وأبى معاوية الضرير ، وروح بن عبادة . وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز (عن الاغانى)

(٢) زلزل ، لقب غلب عليه واسمه منصور الضارب . تعلم الغناء على ابراهيم الموصلى ، وكان ملازما له لا يكاد يفارقه ، وكانت صنعته الضرب على العود ، ولذلك لقب الضارب . غضب عليه الرشيد فحبسه عشر سنين. فقام الرشيد يوما لحاجة ، فجعل ابراهيم الموصلى يغنى صوتا فى شعر قاله فى حبس زلزل ، وهو :

هل دهرنا بك راجع يا زلزل أيام يبغينا العدو المبطل
أيام أنت من المكاره آمن والخير متسع علينا مقبل
يا بؤس من فقد الامام وقربه ماذا به من ذلة لو يعقل !
ما زلت بعدك فى الهموم مرددا أبكى بأربعة كأنى مثكل

ودخل الرشيد وهو يغنى بهذه الابيات ، فأطلقه وأحسن جائزتهما

وبَطَّةٌ وخروف وماءٌ مُزْن مُزَمَّل
وبَرْبَطٌ وصُنُوجٌ وصَوْت نَايٍ وجُلْجُل

وقال أبو نواس :

لا تطمعوا فى شَرابى فتحصلوا فى السَّراب
فدُونَ خُبْزى ولَحمى والخَمْرِ شَيْبُ الغُراب !

فقالوا جميعاً : لا نؤثر على الموصلى وزلزل أحدا ، وعدلوا الى يحيى بن زياد بالرقة (١).

ودخل أبو نواس يوماً الى دار النَّطاف ، والمجلس حافل : مابين وامق محب ، وناظر متعجب ، ومستفيد متعلم . فقال لعنان : أجيبنى عن هذا البيت :

رأيتُ نجومَ الليل لاحَتْ كأنّها
من الذَّهب العِقْيانِ أحمر خالصُ

فقالت عنان :

فشَبَّهتها ليلاً مصابيح راهبٍ عليه ثيابٌ باليات قَوالِصُ

فقال أبو نواس ، (وغيَّر الرَّوِىَّ) :

وإنى لأهْوَى من حبيبٍ أحِبُّه مداعَبَةً منه وأهوى المداعَقَه

فقالت عنان تجيبه :

أجَرِّعُه رِيقى وأشربُ رِيقَه فما تتقضى منى ومنه المُزاعَقَه

(١) نقلت هذه القصة لمناسبة لها بما قبلها ، من الديوان ، من باب النقائض

« هجاؤه لرجل بدوىّ كان مولعاً بهجائه ومعارضته »

كان حمدان بن زكريا مولعاً بهجاء أبى نواس، ومعارضته فى البرارى، فى الطّرد. وكان حمدان عالماً بصفات الطير بدوياً. فقيل لأبى نواس (وقد مر حمدان يوماً): هذا حمدان بن زكريا! فسلم عليه، وقال له: ويلك! لم تهجونى؟ قال: رأيتك كبيراً فى الناس، فأحببت أن أضع منك، لعلك تقل فأكثر عليك. فقال أبو نواس: مالك من ذلك الا الحظ الخسيس! وأنشأ يقول:

قُولَا لِحَمْدانَ، وما شِيمَتِي ... أن أُظْهِرَ الوُدَّ لهُ مُخْلِصَا:

ما أنت بالحُرِّ فَتُلْحَىٰ ولا ... بالعَبْدِ نَسْتَعْتِبُهُ بالعَصَا

فرَحْمَةُ اللهِ على آدَمٍ ... رحمةُ مَنْ عَمَّ ومن خَصَّصَا

لو كان يَدْرِى أنه خارِجٌ ... مِثْلُك من جِرْذَانِهِ لَاخْتَصَىٰ

فقال له حمدان: والله لا أهجوك بعدها أبداً. فقال له أبو نواس: ولا أنا إن لم تعد

« أبو نواس وفتى من الكوفة يقال له جمال »

كان بالكوفة فتى من أهلها يقال له جمال من بنى دارم، قدم بغداد أيام الرشيد. وكان جميلا حديث السن، وكان لا يشرب الخمر، وله شطارة وجَلَد. وكان يَقْرِض الشعر، فوصف من مردان بغداد خمسين غلاماً، وقرض فيهم خمسين قصيدة، يذكر هَزْله فيهم وجِدَّه، فأجاد القول فيهم. وقرئ من شعره على أبى نواس شىء. فسأل عنه، فقالوا: انه لجمال الكوفى، فاستظرفه واستحسن معانيه

وكان جمال صاحب جراحات وآفات ، ولم يستوف العشرين سنة . فعظم فى عين أبى نواس ، وتمنى أن يراه . وقد كان خبره فشا فى الكرخ ، وعظم ذكره . فبينا أبو نواس فى أصحاب القراطيسى ، وكان له مجلس فى الكرخ بدرب القراطيسىّ ، ومجلس بعسكر المهدى ، فى الوراقين ، إذ مر به غلام فى قَدّ الفِتْيان ، فاستحسن قَدّه ، واستحلى وجهه ، وراعه مَنْظَره . ففطن له أصحاب القراطيسى ، فأخذوا بطرف ردائه ، وقالوا له : أتدرى من هذا ؟ قال : لا ، قالوا : هذا جمال الكوفى ، فقال : قاتله الله ! هو والله كما سمى . قالوا : ان له بأساً وجلداً ، وكرهنا أن يعاجلك بالحديد ، فيأتى على نفسك ، فقال : أما من رسول يبلغه شعرى ؟ فأتوه بغلام ، وكتب إليه رقعة فيها :

يا وَاصفَ الخَمْسين لو تَعْدِلُ ... لكَانَ فيهم إسْمُكَ الأوَّلُ

وواصِفَ الغِلمان فى شعره ... أنت وربِّى منهم الأوَّلُ

وَصَفْتَ خَمسين فَمَيَّزْتَهم ... وأنتَ أنتَ الظَّبْيَةُ المغْزِلُ !

جَمالُ دَعْ عنك لنا وَصْفَهُم ... أَنْتَ وَرَبِّى منهم أجْمَلُ

لن يَبْرَحَ المُبْطِئُ فى لَذَّةٍ ... من غُنْجِ ألْحاظِك أو ينْزِلُ

يا جَرْفَةً تَأْكُلُ حِيتَانَها ... وقد تَلاهَا اللَّحَمُ الأجْذَلُ

قد قلت والعقبة لم تَنْقَضِى : ... أُرْفُق حَبِيبى أنت مُسْتَعْجِلُ

فأتاه الغلام بالشعر ، فلما قرأه ، قال : قل له : يا دَعِىٌّ يا شارب الخمر ، والله لينزعنك نفسك يا ابن الزانية . فرجع الغلام فأخبره بقوله ، فقال أبو نواس فى ذلك :

قَدْ يَخْضَعُ الْحُرُّ للغلام فما ... يَنْقَص ذاك الخُضوع من شَرَفِهْ
فسُبَّ ما شِئْتَ سيدى أبدًا ... هـذا خُضوعِى له على سَرَفِهْ

ثم بعث بالبيتين . فقال للغلام : أترى خنجرى هذا ، وأخرجه من كمه ؟ أبلغه عنى أنى والله قاتله به ، فقال أبو نواس :

يا مُوعِدِى بالقَتْل قد خالف الـ ... ـخَنْجَرُ فى قَتْلِى كَفَيْكا
أوْعَدْتَنِى بالقَتْل من غير ما ... جُرْمٍ وقلبى رَهْن يَدَيْكا
ما خنجر تَسْلبُ رُوحى به ... أقْتَلُ من تَفْتِير عَيْنَيْكا
يا مَن دعا قَلْبى الى حُبِّه ... فقال : لَبَّيْكا وسَعْدَيكا
هَبْ لى — فَدَتْكَ النَّفْس ياسيدى ... سُوَيْعَةً مَا بين فَخْذَيْكا

وبعث بها اليه . فازداد جمال غيظاً وغلظة ، وتوعده فما صنع شيئاً . ولم يزل أبو نواس يداريه وينادمه حتى لطف موقعه منه ، وأنس به .

ودب اليه ليلة وقد سكر ، وقال فى ذلك :

يَخْتالُ فى مِشْيَتِه ... كالغُصْن فى قَامتِه
والوَرْدُ فى وَجْنَتِه ... والطِّيبُ فى عُكْنَتِه
والمِسْك فى نَكْهَتِه ... والدُّرّ فى لَثتِه
والفَتْكُ من هِمَّتِه ... والبَاس فى قَبْضَتِه
نازَعْتُه مَشْمُولَة ... كالبَرْق فى لَمْعَتِه

فقلت خُذْها واسْقِنى والشَّأْنُ فى فَضْلَتِهِ
فلم يزَلْ يمزج لى البـ ـاقِىَ من فَضْلَتِهِ
والنَّقلُ من تقبيل ما أَقطف من وَجْنَتِهِ
سَقْياً لها من دَعوةٍ قادَتْ الى نَيكَتِهِ

« أبو نواس وحمدان الرفاء »

كان بالكرخ غلام يقال له حَمْدان الرفاء ، وكان جميلا حاذقاً بعمله ، وكان أبوه متديّناً ، فكان يلقى فى ابنه حمدان كلَّ بلاء من الفساق . فجعله فى غرفة فوق دكانه ، فكان اذا صَعِدَ الى غرفته رفع السُّلم عن موضعه . وتركه يعمل وحده عمله . فذكر فى مجلس حضره أبو نواس ، فحفظ صفة الدكان ، وقصد الغلام وجعل يصرّف الحِيَل فى أمره . فتهيأ له أن أخذ خِلْعة من خِلَع محمد بن زبيدة ، فيها مواضع للرَّفْأ ، وحلق شاربه ، وشمر ثيابه ، وأظهر سَمْتاً ووقاراً ، وقصد الشيخ ، وجلس اليه وحدثه حتى أنس به ، ثم عرض عليه الحال ، وأظهر الحاجة ، وقال : أنا رجل شاعر من أهل البصرة ، متصل بأمير المؤمنين ، وقد وقع فى هذه الخلعة مواضع حروق ، احتجت الى من يرَفؤها ، فدللت عليك . فأخذ الخِلعة منه وقلبها ، وصاح بابنه ، فأشرف عليه ، فقال : خذ هذه الخلعة فارف ما فيها ، وجودها . واترك ما فى يديك من العمل ، وعجلها . فأخذها الغلام . وقعد أبو نواس . فلما أبطأ فى القعود ، قال أبو نواس للشيخ : إنى أحتاج الى أن أصعدَ الى هذا الفتى لأقعد على ما يعمل . فأمره أن يصعَد اليه ، ووثق به . فصعد الى الغلام فآنسه وحدّثه ومازحه ، وأخذ يقبله وينشده الاشعار ، وأراده على نفسه ، فمانعه الغلام . فقال أبو نواس لأبيه : عَرّف هذا

الفتى — أعزك الله — ماجئت اليه ، وأذن له فى التعجيل بقضاء حاجتى ، فقال له : أفعل يا بنىَّ ، فنال منه مراده ، وقال فيه بعد ذلك :

وظَبْيٍ همَمت بتَعْليقِه وقد مَرَّ يخطِرُ فى سُوقِه
نَقِيّ أَديمُ مَطَاريقِه وصَافى الحدائِد فى زِيقِه
حَسدتُ الخُيوطَ وقد بَلَّها بعَذْب المباحَةِ من رِيقِه
أعان القَمِيصُ على نيكه ونِلْتُ مُنَاىَ بتَخْريقه

« أبو نواس وغلام من الكتاب فى ديوان الخراج »

دخل أبو نواس الى ديوان الخراج ، فرأى غلاماً من الكتاب فى مجلس سلمَة بن نجاح . فضرب به عينيه ، فجمشه ، فاذا أمجن غلام وأظرفه . فأخذ قلمه وكتب اليه : تُحبنى كما أحبك ؟ فكتب الغلام : لا . وفطن صاحب المجلس له ، فزاد : إله الاّهو . ثم قال للذى نظر اليهما : أنه قال لى . أرِنى خطكَ ، فكتبت إليه ما رأيت . فعجب أبو نواس من فطنته ، وقال :

ومُستَمِدٍّ من الدَّواةِ وما يَشْغَلُه القومُ بالذى فَاهُوا
يكتب لى : لا ، فانْ فَطِنوا زَادَ عليها : إلٰهَ إلاَّ هُو

« أبو نواس وسليمان بن أبى سهل »

قال سليمان بن أبى سهل بن نوبخت : بات عندى أبو نواس ليلةً ، فلما كان فى السَّحَر أيقظنى ، ثم قال : اسمع يا سليمان ، وأنشدنى :

يا سـليمان غَنِّنِي ومن الرَّاح فاسْقِنِي
فاذَا دَارَتِ الزُّجا جَةُ خُذْهـا وعَاطِنِي
ماتَرى الصُّبْحَ قد بَدَا فى إزَارٍ مُبَيِّنِ
عَاطِنِى كأْسَ سَلْوَةٍ عن أَذانِ المؤَذِّنِ
إسقْنى الخَمْر جَهْرَةً وأَبِطْنى وأَزْنِنِي

قال : فدعوت غلاماً لى جميلَ الصورة ، فقلت : شأنك به . ودعوت جارية لى أحسن من الغلام ، فقلت : عليك بها . وأصبح فأراد أن ينصرف ، فقال لى ياسليمان : (وَفَديناه بِذبْحٍ عظيم) قال : وكنت يومئذ من أحسن الناس وجهاً

« ماقاله أبو نواس حينما رأى غلاما يمشى فى ميدان بغداد »

قال : أبو هفان : حدثنى عمرو الوراق : قال : بينا كنت أمشى مع أبى نواس فى الميدان ببغداد ، إذْ رأى غلاماً حسناً ، فاستحسنه . ثم قال لى : أماترَى الجنة تُزَف فى الأرض ؟ كِدْت والله أفرغ ، وقال : فأفرغت فى سراويلى . فقلت له : فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

إنَّ لى أيْرَاً خَبيثاً لستُ أدرى ما عِقابُه
كلّما أبصر وَجْهاً حَسَناً سـالَ لُعابُه

« أبو نواس وصديقه أيوب بن محمد الكاتب »

كان لأبى نواس صديقٌ من الكتاب يقال له : أيوب بن محمد ، يتعشق غلاماً من

الهاشميين ، فكان لا يقدر عليه ، فاذا تشوَّق اليه خطَّ اسمه فى كفه ودلك عليه ، فقال أبو نواس :

رأيتُ المحبِّين الصَّحيح هَوَاهمُو
اذا ذُكِر الشَّوْق استراحوا الى البُكا
ولكنَّ أيُّوباً اذا ما فُؤاده
بذكر الذى لسنا نسمِّى تَحرَّكا
دَعَا بدَواةٍ عند ذاك مُلاَقةٍ
فخطَّ اسمَه فى كَفِّه ثم دَلَّكا
فلو كان يَرْضى العاشقون بمثل ما
رَضيتَ به ماحسَّ صبٌّ ولا اشْتكى

« أبو العتاهية وما قاله لأبى نواس يعظه ، وردّ أبى نواس عليه »

عاتب أبو العتاهية أبا نواس ، فقال له : قد بلغتَ من السن والعلم مافى دونه يتَّعِظُ اللّبيب ، و ينزجر العاقل الأديب ، وأنت تجالس الفتيان ، وتلعب مع الغلمان ، وتصبو صبوة الشبان . قال : فاطرق هنيهة ثم رفع رأسه اليه وقال :

أتَرانى يا عَتَاهى تاركاً تلك الملاهى ؟
أتَرانى مُفْسداً بالنُّسْـ ـكِ عند المُرْدِ جاهى ؟

فقال له أبو العتاهية : اذهب ، لاتاب الله عليك

ولأبى نواس فى غلام سامرىّ :

ومن خُبْثِي بُلِيتُ بسامِرِيٍّ ... يُكَلِّمنى بمَهْ و بلا مِسَاسِ

وآلَى لا يُكَلِّمنى ثلاثاً ... يُرَدِّدُهنَّ ، إلا وهو ناس

فيامن يُبْلغ النِّسيانَ عنِّى ... يقول له : فِدَاكَ أبو نُواس :

أَلِمَّ به فأَنْسِينِيهِ عَلّى ... أَنالُ وِصَالَه عند التناسى

« أبو نواس يكتب رسالة على رأس غلامه بعد حلقها »

أراد أبو نواس أن يكتب ورقة الى آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفىّ ، فحلق رأس غلامه و كتب اليهم فيه بحاجته . ثم كتب بعد ذلك : اذا قرأتم الكتاب فشُقُّوا الرُّقعة . قل : فضحكوا وصفعوا غلامه وردوه اليه ، وأرادوا أن يشقوا جلدة رأسه ، فشتمهم ، فقالوا : ما ذنبنا ؟ مولاك أمرنا

« أبو نواس وغزله فى أحمد بن أبى صالح »

كان أبو نواس يتعشق أحمد بن أبى صالح ، فكان يلازم دار علىّ بن معاذ ، لموضع أبى صالح . وأحمد بن أبى صالح هذا هو الذى يقول فيه أبو نواس :

يا أحمد المرتجىٰ فى كلِّ نائبةٍ :

قُمْ سَيِّدى نَعْصِ جَبَّار السَّمٰوات

وهذا البيت من قصيدة أولها :

لا أستَزِيدُ حَبيبي من مُواتَاتِي ... وإن عَنُفْتُ عليه فى الشِّكايات

هو المواصلُ لى لـكنْ يُنَغِّصُنى
بطُول فَتْرةِ ما بين الزِّيارات

قالوا : ظَفِرتَ بمَن تَهوىٰ ! فقلتُ لهم :
أَلآن أَبْرَحُ ما كانتْ صـباباتى !

لا عذرَ للصَّبِّ أن تَهْدا جَوارِحُه
وقد تَطَعَّم فُـوه بالمَـرارات

وداهرىّ سما فى فَرع مكْرمةٍ
من مَعشرٍ خُلِقوا فى الجُود غايات

رَقَت كِتابة نَعليه ذُرَا شَرفٍ
من العلا ، فعلا مَحْضَ الضَّريبات

نادَيتُه بعـد ما مال النُّجومُ وقد
صاح الدَّجاج ببُشْرى الصُّبح مَرَّات :

فقلتُ — والليل يَجلوه الصَّباح كما
يجلو التَّبَسُّم عن غُرِّ الثَّنيَّات — :

يا أحمد المرتَجَى فى كلِّ نائِبـةٍ :
قُمْ سيدى نَعصِ جَبّار السَّمٰوات

وهاكها قهوةً صفراءَ صافيةً
مَنْسوبةً لقُرىٰ رِهيتٍ وعانات
صدمْتُه بحُمَيّاهـــا لأبْسطه
باللّينِ طَوْرًا وبالتّشْديد تارَات
حتّى تَغَنّى وما تَمّ الثلاثُ له
حُلْوُ الشّمائل محمودُ السّجيّات :
(يا ليتَ حظّيَ من مالٍ ومن وَلَدٍ
أنّي أُجالِس لُبْنَى بالعَشِـــيّات)

« أبو نواس بين الأمين والمأمون »

لما وقع الخُلف بين الأمين والمأمون ، كان ذو الرياستين يخطب بمساوئ الأمين ، وقد أعدّ رجلا يحفظ شعر أبى نواس ، فيقوم بين يديه فيقول : ومن جلسائه رجلٌ ماجنٌ ، كافرٌ ، مستهزئ ، متهكم ، يقول كذا وكذا ، وينشد قوله:

ألا فاسْقِنِي خمْرًا وقل لى: هى الخمر
ولا تَسْقنى سِرًّا إذا أمكن الجَهْر

وينشد أيضاً قوله :

يا أحمد المرتجىٰ فى كلّ نائبةٍ قُمْ سيدى نَعصِ جبّارَ السّموات

وغير ذلك من قبائح شعره ومجونه . ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فِسق وفجور ، وخمور وماخور ، ويلعنهم من يحضر المجلس من أهل خراسان . فكتب بذلك الى محمد الأمين عيونهُ . فجزع له ، وأمر بقتل أبى نواس ، فكلمه فيه الفضل وغيره فأطلقه . ولما أحضره للقتل ، أحضر الفقهاء ، بعد أن جمعوا له كل من يحسده من الشعراء والفضلاء وغيرهم ، ثم قيل له : ألست القائل : ياأحمد المرتجى فى كل نائبة الخ ، قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : كافر . ثم قل للفقهاء : ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء ؟ قالوا : كفر يا أمير المؤمنين . فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين ، إن كانوا قالوا هذا بعقولهم ، فما أنقصها ! وان كانوا قالوه بآرائهم ، فما أجهلهم ! أيكون زِنديقاً مُقِرٌّ بأن للسموات جبّاراً ؟ قال : لا والله ، ولقد صدقت ! قم ، فقام وأطلقه . وقيل : إنه قال له : يا أمير المؤمنين ! اجمع كل زنديق فى الأرض ، فان زعموا أن فى السماء إلها واحداً ، فاضرب عنقى . ولكنى صحبت قوماً جهالا ، لا يعرفون المزح والجِدّ . وأنا يا أمير المؤمنين الذى أقول :

قد كنْتُ خِفْتُك ثم أَمّنَنِى من أن أخَافَكَ خوفُكَ اللهَ

«إقامته شهرى رجب وشعبان بقطربل والقفص وعدم اقتناعه بذلك»

كان أبو نواس يألف آل نَوْبختْ ولا يفارقهم . فحدَّث بعض أصحابهم ، قال : كان أبو نواس يألفنى ولا يصبر عنى ، فأخذ بيدى مرَّة ونحن فى أول يوم من رجب ، فمضينا الى قُطرُبُّل ، فلم نزلْ بها ، حتى اذا كان أولُ يوم من شعبان صرنا الى القُفْص ، فأقمنا بها الى آخر يوم منه . فقال لى : ويْلك . قد أطلنا هذا العدد ، ونحن فى آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة ، والناس فى شَكٍّ من يومهم هذا ، فما ترى ؟ قلت : ويحك ! انه لاعوض لنا من يومنا هذا .

ثم لقينا جماعةٌ فحدَّثوا أن الهلال لم يُر بعد . فرجعنا فشر بنا . ثم أصبحنا . فقلت له : قم بنا فقد أخذنا بأوفر الحظوظ من يومنا الماضى ، فقال : اسمع وأطِع :

لو شِئتَ لم نَبرَحْ من القُفْصِ نأخُذُها صَفْراءَ كالجصِّ
نَسرِق هذا اليَوْمَ من شَهْرِنا فربَّما يُعفَى عن اللِّصِّ

قال الحاكى : فقلت : أنشِدتُ هذا الشعر لغير أبى نواس ، ولعله كان مما يضاف اليه . قال الراوى : ان الذى حدَّثنى بذلك كان أظرف من أن يكذب فى مثل هذا

« أبو نواس والنَّظَّام المعتزلى ، والجزء الذى لا يتجزأ »

حدَّث بعض آل نوبخت ، قال : جاء النَّظَّام يوما ، فسألنا عن منزل أبى نواس ، فقلنا له : انه يسكن تلك الغرفة ، وأومأنا الى غرفة كان ينزلها ، وكان له غلام أسود وحمار أسود . قال : فاستأذن عليه وقال له أنشدنى قولك :

تَرَكْتَ منى قليلا من القَليل أقَلاَّ
يكادُ لا يَتَجَزَّا أقلّ فى اللَّفظِ مِن لا !!

فأنشده ، فقال له النظام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى . والجزء الذى لا يتجزأ ، منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ، ما خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت فيه فى بيت واحد

« أبو نواس ودعابته مع شيخه عبد الواحد بن زياد شيخ الحديث بالبصرة »

أقبل أبو نواس الى مجلس عبد الواحد بن زِيادٍ بالبصرة ، وقد كثر عليه

أصحاب الأحاديث ليسألوه عنها. فقال لهم: ليسأل كل رجل منكم عن ثلاثة أحاديث وليمض، ففعل الناس ذلك، حتى انتهى الى أبى نواس، فقال: ياغلام! سل أنت. فقعد بين يديه وقال: هاك الحديث، فقال. هات، فانشده:

ولقد كنّا رَوَيْنا عن سَعيدٍ عن قَتَادَه [1]
عن زُرَارَةَ بْنِ أوفَى أن سَعْدَ بن عُبَاده
قال: من ناك حبيبا فاز منه بالسَّعادَه
واذا مات مُحبّا فله أجْر الشهادَه
والذى يجمع إلْفَيْـ ـنِ على حُسْنِ الاراده
بوَقار وسُكُونٍ وتأَتٍّ للمُرادَه:
هو فى ذاك حكيمٌ زَعَمتْ ذاك جَرَادَه

جرادة التى عناها: قوادة كانت بالبصرة ينتابها الفساق:

نِيَّة الفاسق فاعْلَمْ هى خير من عِبادَه
انما الدنيا ثلاث ليس فيهن زِياده:
حَبيب، ومحبٌّ، ثم ثَلّثْ بالقِيادَه

---

(١) ليس من يجهل أن أبا نواس لم يرد بالرواية هنا الرواية على طريقة المحدثين، وأنه روى عنهم كل هذا الفحش الذى ذكره فى قصيدته، وكل من ذكرهم فيها من جلة الصحابة والتابعين. وانما أراد بذلك الدعابة مع شيخه كعادته، فاخترع اسماء تشبه أسماءهم، ترويجا لمجونه، كما هو ظاهر هنا وفيما سيأتى بعد ذلك مع شيخه اسحاق الازرق

أترى ذاك صواباً نتّبعْ منه سَدَادَه

قد روى ذاك هِشامٌ عن أبانٍ عن جنَادَه

فقال له عبد الواحد : قم ، عليك لعنة الله . والله لا أحدّثك بعد ذلك ، ولا أعرف وجهك . فقام أبو نواس ، وقال : والله لا أتيت مجلسك وأنت تردُّ الصحيح من الأحاديث

قال ابن عائشة : دخلت بغداد أريد السماع من عبدالله بن المبارَك [١] ، فلما صرت الى واسط ، قلت : لو دخلت الى هذا الشيخ ، اسحاق الأزرق ؟ [٢] فصرت اليه ، وسلمت عليه . فلما رآنى ، أجهش باكيا ، فقلت له : ما الذى يبكيك ؟ قال : ألم تر الى هذا الفاسق ؟ قلت : أىّ فاسق ؟ قال : الحسن بن هانى . قلت : مالك وله ؟ قال : كذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنى حدّثته بحديث عن عبد الله بن مسعود [٣] ، ولا والله ماحدثته به ، ولا تكلمت

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى المروزى ، أحد الائمة الاعلام وشيوخ الاسلام . حدث عن مشاهير التابعين كهشام بن عروة بن الزبير ، وحدث عنه سفيان الثورى وسفيان بن عيينة . ولد سنة ١١٨ وتوفى سنة ١٨١ هجرية (عن الخلاصة)

(٢) هو أبو محمد اسحاق بن يوسف بن يعقوب بن مرداس المخزومى الازرق الواسطى أحد الائمة الاعلام فى الحديث . حدث عن شريك والاعمش وسفيان الثورى . وحدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم من أئمة الحديث والفقه . وروى عنه أنه لم يرفع بصره الى السماء نحوا من عشرين سنة . توفى سنة ١٩٥ هجرية عن ثمان وسبعين سنة (عن الخلاصة)

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، الهذلى الكوفى . أحد السابقين الاولين . شهد بدرا والمشاهد ، وروى ٨٤٨ حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقن عن النبى عليه السلام سبعين سورة من القرآن . وكان يشبه النبى فى هديه وسمته . مات بالمدينة المنورة ، سنة ٣٢ هجرية عن بضع وستين سنة (عن الخلاصة)

به . قلت له : وما هو ؟ قال : ياجارية ، هاتى القرطاس الذى دفعته اليك بالامس . فجاءت به ، فاذا فيه :

ياحَسَن المُقْلَتَيْنِ والجِيد ... وقَاتِلى منك بالمواعِيدِ :

توعِدُنِى الوَعْدُ ثم تخْلِفه ؟ ... فيا بِلاَئى من خلْفِ مَوْعُودى!

حدَّثنى الأزرق المحَدّث عن ... عمرو بن رَسم عن ابن مَسعود :

لايخلِف الوَعْدَ غير كافِرةٍ ... أو كافرٍ فى الجَحِيمِ مَصْفُودِ .

وحابس الدُّور بالحَديث عن القو ... م وتسويف صاحب العُودِ

« أبو نواس ومن كان يزوره فى سجنه »

حكى عن حذيفة صاحب الشرطة ، قال : لما حبس أبونواس ، كان أكثر من يزوره فى حبسه : المرْد ، والشبان ، والخمارون ، وأصحاب الريبة . فعرفت منهم من لم كن أعرفه من قبل ذلك ، فجعلت عليهم الضرائب . فلما أطلق فقدت ذلك وتفرقوا

« أبو نواس وما كتبه على أُسطوانة أبى عبيدة فى المسجد الجامع »

قال محمد بن هشام : كنا عند أبى عبيدة فى المسجد الجامع ، ونحن نتحدَّث ، ومعنا أبو نواس ، اذ كتب انسان على دفتره شيئاً وقد لحظ الاسطوانة . فقال له أبو عبيدة : ماهذا الذى تكتب ؟ فنظرنا فاذا بيت قد قاله أبو نواس وهو :

صلى الاله على لُوطٍ وشيعته ... أبا عبيدة ، قل بالله : آمينا

فقال أبو عبيدة : هذا عمل الخبيث (يعنى أبا نواس) وكنا أربعة أو خمسة .

فقال أبو عبيدة لكَيْسان[١]: أيُّما أحبُّ اليك أن تجَبّيَ لى فأمحوَه، أو أجَبّيَ لك فتمحوَه أنت؟ قال: جبِّ[٢] لى أنت. فانحنى أبو عبيدة وحمل كَيْسان على ظهره، وقال له: حُكَّه. قال كيسان: فجعلت أحكه، وهو يقول لى: ويحك! عَجِّل، لا نفتضح عند الناس. ثم قال لى: قد فرغت؟ قلت: قد بقى لوط وحده، فقال لى أبو عبيدة: وهل نَهرب الا من لوط؟ حكه. قال: فحككته[٣]

وقيل: ان هذا البيت وجد فى رُقعة فى مجلس أبى عبيدة، وبعده بيت آخر، وهو:

فأَنْتَ عندى بلا شكٍّ بَقِيَّتُهم

منذ ٱحْتَلَمْتَ وقد جاوَزْتَ سَبْعينا

---

(١) هو كيسان بن المعرف النحوى الهجمى. قال عنه الاصمعى: انه ثقة غير متزيد، أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدى. وقال أبو عبيدة: كان يخرج معنا الى الاعراب فينشدوننا، فيكتب فى ألواحه غير ما ينشدوننا، وينقل منها الى الدفاتر غير ما فيها، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما فيها، ثم يحدث بغير ما حفظ. وكان مزاحا. قرأ عليه صبى، فمر ببيت فيه لفظة العيس فسأل الصبى عنه، فقال له: هو الابل، فقال له: ما الابل؟ فقال: الجمال، فقال له: ما الجمال؟ فقام على أربع، ورغا فى المسجد، وقال: الذى تراه طويل الرقبة وهو يقول: بوع. وحبس يوما، فشفع له أبو عبيدة، فأمر باخراجه من السجن، فسأل عن السبب فى ذلك فذكر له، فقال: أمه زانية ان خرج. أحبيس ظلم وطليق ذل؟ لا يكون ذلك أبدا (عن بغية الوعاة فى تراجم اللغويين والنحاة)

(٢) فى الاصل أن تطب لى فأمحوه، أو أطب لك فتمحوه. قال: طب لى أنت. ولا معنى لها. وهى محرفة عن تجبى الخ. والتجبية هى أن يقوم الانسان قيام الراكع. والعرب تقول: جبى فلان تجبية، اذا أكب على وجهه باركا، أو وضع يديه على ركبتيه منحنيا وهو قائم

(٣) والذى «فى وفيات الاعيان» لابن خلكان، فى ترجمة أبى عبيدة: وكان (يعنى أبا عبيدة) لا يقبل شهادته أحد من الحكام، لانه كان يتهم بالميل الى الغلمان. قال الاصمعى: دخلت أنا وأبو عبيدة يوما المسجد فاذا على الاسطوانة التى يجلس عليها: صلى الاله على لوط، البيت. فقال لى: يا أصمعى أمح هذا. فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته، الى أن قال: أثقلتنى وقطعت ظهرى. فقلت له: قد بقيت الطاء. فقال: هى شر حروف هذا البيت. وقيل: انه لما ركب ظهره وأثقله، قال له: قد بقى لوط. فقال: من هذا نفر

فاتّهم بذلك أبا محمد اليزيدىّ [1] وأبا نواس . فاعتذر اليه أبو نواس فقبل عذره ، ولم يعتذر اليزيدىّ . فقال أبو عبيدة : والله لا فخرتْ عَدِىّ الرَّباب بأنى ذكرتها أبدا ، فكيف أذكر عبدها ؟ وكان اليزيدىّ مولى لعدىّ الرَّباب

« وصفه لأبى عبيدة والأصمعى وخلف الأحمر »

وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ، ويشنأ الأصمعىَّ ويهجوه . وقيل له : ما تقول فى الأصمعىّ ؟ قال : بلبل فى قفص . قيل : فما تقول فى خلف الأحمر ؟ قال : جمع علم الناس وفهمه . قيل : فما تقول فى أبى عبيدة ؟ قال : ذاك أديمٌ طُوِىَ على علم

---

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى النحوى اللغوى ، مولى عدى بن مناة ، بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبى عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدى ، وعنهما أخذ العربية . وأخذ عن الخليل اللغة والعروض . وروى عنه ابناه : محمد وأبو عبيد وخلق كثير ، وكان أحد القراء الفصحاء العالمين بلغة العرب والنحو . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه . ثم أدب المأمون الخليفة العباسى ، وسأله مرة عن شىء ، فقال : لا وجعانى الله فداك . فقال له المأمون : لله درك ! ما وضعت الواو فى موضع أحسن من موضعها هذا ، ووصله . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن أربع وسبعين سنة (عن بغية الوعاة)

وقال فى الاغانى ، فى ترجمته ، أنه قال : كان أبو عبيدة يجلس فى مسجد البصرة الى سارية ، وكنت أنا وخلف الاحمر نجلس جميعا الى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أعضه الناس للناس وأذكرهم لمثالبهم . فقال لاصحابه : أترون الاحمر واليزيدى يجتمعان على الوقيعة على الناس وذكر مساويهم ؟ و بلغنى ذلك ، وأنه قد رمانا بمذهبه . فقلت لخلف : دعه فأنا أكفيكه ، فلما كان فى الاذان جئت أنا وخلف الى المسجد فكتبت على الجص ، فى المجلس الذى كان يجلس فيه أبو عبيدة : (صلى الاله على لوط وشيعته) البيت . قال : وأصبح الناس ، وجاء أبو عبيدة فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوب . وأقبل الناس ينظرون الى البيت ويضحكون ، ورفع أبو عبيدة رأسه ونظر اليه ، فخجل ولم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس ، وأنا وخلف ناحية ننظر الى مابه . ثم قمنا حتى وقفنا عليه فقلنا له : ما قال صاحب هذا البيت الا حقا . نعم ! فصلى الاله على لوط . فاقبل على وقال : قد علمت من أين أتيت ، ولن أعاود التعرض لتلك الجهة . ولم يعد لذكرنا بعد ذلك

« وضعه للناطف على سارية أبى عبيدة وسيلانه عليه »

جاء أبو نواس فى يوم شديد الحرّ بناطِف[١] فألقاه على سارية أبى عبيدة ، وجاء أبو عبيدة ، فاتّكأ على قفاه الى السارية . فلما انتصف النهار واشتدّ الحر ، ذاب الناطف ، فسال على وجه أبى عبيدة ، وعينيه ، ولحيته ، وثيابه . فقال : قبح الله الماجن الخبيث أبا نواس ، فان هذا من عمله ! ! !

« وصف أبى عبيدة للمعادن ، وما قاله له أبو نواس »

جاء أبو نواس يوما الى أبى عبيدة ؟ وهو يصف المعادن ويقول : مَعدِن بَنى سُلَيم يُنبت القطعة من الذهب مثل عَقِب البعير ، ومعدن كذا ينبت كذا ، وجعل يصف

فقال له أبو نواس : ما هذا يا أبا عبيدة ؟ فقال : قم قبحك الله ، فما نُفلِتُ منك على حال ! فقال له أبو نواس : يا جلف ! وما عليك لو قلت : فى حِرِ أمك[٢]

« أبو نواس يكتب رقاعاً وينشرها فى درس أبى عبيدة »

قال الجماز : كنا فى حَلْقة أبى عبيدة ، فوجدنا فيها رقاعا ، فى كل رقعة منها مكتوب :

أمَرَ الأميرُ بأَخْذِ أوْلادِ الزِّنَا

فَتَفَرَّقوا لا تُؤْخَذُوا فَتُعاقَبُوا

فقال أبو عبيدة : من فعل هذا ؟ لعنه الله ! فقال أبو نواس : لو علمت من فعل هذا لأهجونه . فضحك أبو عبيدة . وقال : * ومُحترِسٍ من مثله وهو حارسُ ! ! ! *

« أبو نواس والشرب فى أيام الربيع »

قال أحمد بن العباس بن الحكم : جاءنى أبو نواس فى غداة يوم من أيام الربيع ،

---

(١) الناطف : القبيطى ، وهو نوع من الحلوى ، ينظف قبل استضرابه ، أى يقطر قبل خثورته وفساده

(٢) وردت هذه القصة مشوهة فى الاصل ، ولم نهتد اليها بعد البحث والتنقيب . فلتحرر

وقد طشَت السماء ساعة . فلما دخل علىّ ، أنشأ يقول :

ما مِثْل هذا اليومِ فى طِيبِهِ عُطِّلَ من لَهْوٍ ولا ضُيِّعَا
فما تَرَى فيه ؟ وماذا الَّذِى تُحِبُّ فى ذا اليومِ أن تَصْنَعَا ؟
هل لك أن نَغْدوا على قَهْوَةٍ تُسْرِعُ فى المَرْءِ إذا أسْرَعَا ؟
ما وَجَد الناسُ ولا جَرَّبُوا لِلْهَمِّ شيئًا مِثْلَها مَدْفَعَا ! !

قال : فقلت له : ما كان يساعدنى فى هذا اليوم غيرك . أقم فها هُنا ما يصلحك . فأقام يومه ذلك عندى

« قصيدة أبى نواس فى يحيى الثقفى »

سئل على بن اسحاق بن إسماعيل عن قول أبى نواس : داوِ يحيى من خُمَاره مَن يحيى هذا ؟ قال : لا أعرفه أنا . وانما أنا أروى هذا الشعر : دَاوِ يارى من خماره ويارى هذا : خمّارٌ نصرانىٌّ كان فى نهر طابق نازلا ، وكان أبو نواس يغشاه كثيرا فجاءه مرة فوجده مخمورا ، فقال هـذا الشعر ، فقلبه الناس ، فقالوا . يحيى . وقال يحيى الثقفى : قول أبى نواس : داو يحيى من خماره ، فىَّ قالها

والقصيدة المذكورة هى :

دَاوِ يَحْيَىٰ من خُمَارِه بِابْنَةِ الدَّنِّ وَقَارِه
من شَرَابٍ كِسْرَوِىٍّ ما تَعَنَّوْا بِاعْتِصَارِه
طَبَخَتْه الشَّمسُ لمَّا بَخِلَ العِلْجُ بنَارِه
فأَتَى الدَّهْرُ عليه غَيْرَ شىءٍ فى قَرَارِه

فَتَجلَّتْ عن شِهابٍ يَتَرامَى بشَرَارِه
رَكَد اللَّيلُ عليه فكُفِي ضَوْءَ نَهارِه
ونَدِيمِي كلُّ خِرْقٍ زانَه عِتْقُ نِجَارِه
وغَزَالٌ تَشْرَه النَّفْ سُ الى حَلِّ إِزَارِه
بسَطَتْه سَوْرة الكأْ سِ لنا بعد اُزْوِرَارِه
فأَطَفْنَا بنَواحِيـ ـهِ ، ولم نَعْرِضْ لدَارِه

وقل أبو نواس فى تمليح الغلمان وذم النساء :

أَنا اُمرُؤٌ أبغَض النِّعاجَ وقد يُعْجبنى من نِتَاجها الحَمَل
من عَذَّبَ الله بالزّنَا فأَنَا لا نَاقَةٌ لى فيه ولا جَمَل
يُعْجبنِي الأمرَد الطَّرير اذا أبصرتهُ أهيفاً له كَفَل
حتى اذا ما رأيت لِحيَتَه فليس بينى وبينه عمَل
الاّ سليمانَ إنَّه رجلٌ تَحِلُّ بينى وبينـه القُبَل

ومن عرائس قصائد أبى نواس هذه القصيدة :

قال المازنى : سمعت رجلا يقرأ على أبى عبيدة ، معمر بن المُثَنَّى شعر بَشَّار : فمرّت قصيدته الميمية [1] التى أولها :

---

(١) وقد كان بشار قال هذه القصيدة يمدح بها ابراهيم بن عبد الله بن حسن المعروف بالامام ، ويهجو فيها المنصور ، ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره . فلما قتل ابراهيم بن عبدالله ابن حسن ، خاف بشار من المنصور ، فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة الى بنى العباس ، وحذف منها أبياتا (عن الاغانى)

أبا جَعْفرٍ ما طُولُ عَيْشٍ بدَائم ،

ولا سَالِمٌ عَمَّا قليلٍ بسَالِم !!

فقال له : هاتها ، فهى أوزن من ميميتى جرير والفرزدق (١) . ولقصيدة مَرْوان ابن أبى حَفصة (٢) أجود من قصيدة الأعشى . ولقصيدة أبى نواس خير من قصيدة امرئ القيس التى أولها :

---

(١) أما ميمية الفرزدق فهى قوله يهجو جريرا ويعيره بأبيه وأمه :

عفى المنـازل آخر الايام قطر ومور واختلاف العام

يقول فيها :

فاسكت فانك قد غلبت ولم تجد للقـــاصعاء مآثر الايام

ووجدت قومك فقؤوا من لؤمهم عينيك عند مكارم الاقوام

وأما ميمية جرير فهى قوله يجيبه :

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام

يقول فيها :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام

ويقول فيها أيضا :

ان ابن آكلة النخالة قد جنى حرباً عليـه ثقيلة الاجرام

خلق الفرزدق سوءة فى مالك ولخلف ضبة كان شر غلام

مهلا فرزدق ان قومك بينهم خور القـلوب وخفة الاحلام

(٢) هو أبو السمط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة يزيد . وهو شاعر من فحول الشعراء . أدرك الدولة الاموية والعباسية . وحصل بشعره كثيرا من المـــال سيما من الخلفاء العباسيين . وكان أبخل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، فقد كان رسم بنى العباس معه أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم

أما قصيدته التى أخبر أبو عبيدة أنها أجود من قصيدة الاعشى ، فقد روى صاحب الاغانى عن خلاد الارقط . قال : جاءنا مروان بن أبى حفصة الى حلقة يونس النحوى ، فأخذ بيـد خلف الاحمر فأقامه ، ثم أخذ خلف بيدى : فقمنا الى دار عمير ، فجلسنا فى الدهليز . فقال مراون لخلف : نشدتك الله يا أبا محرز الا نصحتنى فى شعرى ، فان الناس يخدعون فى أشعارهم ، وأنشد قوله :

طرقتك زائرة فحى خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها

فقال له خلف : أنت أشعر من الاعشى فى قوله : رحلت سمية غدوة أجمالها . فقال له مروان :

رُبَّ رَامٍ من بَنى ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من سُتُرِه

أما قصيدة أبى نواس المذكورة ، فهى قوله ، يمدح بها العباس بن عبيد الله ابن أبى جعفر المنصور :

أيُّها المُنْتاب عن عُفُره لَسْتَ من لَيْلى ولا سَمَره
لا أذُودُ الطَّيْر عن شَجَرٍ قَد جَنَيتُ[1] المُرَّ من ثَمَره
فاتَّصِلْ إن كنتَ مُتَّصِلاً بقُوىً من أنتَ من وَطَره
خِفْتَ مأثورَ الحديث غداً وغداً دانٍ لمُنْتَظِره
خَابَ مَن أسْرى الى مَلِكٍ غَيْرِ مَعْلومٍ مَدَى سَفَره
وَسَّدَتْه ثِنْيَ ساعِدِهِ سِنَةٌ حَلَّتْ الى شَفَره
فَامْضِ لا تَمْنُنْ علىَّ يداً مَنُّكَ المَعْرُوفَ من كَدَره
ربَّ فِتْيانٍ رَبأْتُهمو مَسْقَطَ العَيُّوق من سَحَره

سررتنى وسؤتنى . فاما الذى سررتنى به ، فارتضاؤك الشعر . وأما الذى سؤتنى به ، فتقديمك اياى على الاعشى ، وأنت تعرف محله . فقال له خلف : ويحك ! ان الاعشى قال فى قصيدته هذه : فأصاب حبه قلبه وطحالها . والطحال ما دخل فى شىء قط الا أفسده . وأنت قصيدتك سليمة كلها . فقال له مروان : انى اذا أردت أن أقول القصيدة ، رفعتها فى حول : أقولها فى أربعة أشهر ، وأنتحلها فى أربعة أشهر ، وأعرضها فى أربعة أشهر . وروى أيضا عن الاصمعى مثل ذلك عن يونس النحوى أيضا

وفى هذه القصيدة يقول مروان بن أبى حفصة ، يخاطب العلويين :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبى فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بتراثه فأردتمو ابطالها

(١) فى الديوان : قد بلوت المر من ثمره

فاتَّقوا بِي ما يُرِيبُهُمُ ... إنَّ تَقْوَى الشَّيءِ من حَذَرِه

وابْنِ عَمٍّ لا يُكاشِفُنا ... قد لَبِسْنَاهُ على غَمَرِه

كَمَنَ الشَّنْآنُ فِيه لَنَا ... كَكُمُونِ النَّارِ فى حَجَرِه

ورُضَابٍ بِتُّ أَرْشُفُه ... يَنْقَعُ الظَّمْآنَ من خَصَرِه

عَلَّنِيهِ خوط أَسْمِلَةٍ ... لاَنَ مَتْناه لِمُهتَصِرِه

ذَا ومُغْبَرٌّ مَخَارِمُهُ ... تُحْسَرُ الأَبْصارُ عن قُطُرِه

لا تَرَى عَيْنُ المُبِينِ به ... ما خَلاَ الآجالَ من بَقَرِه

خَاضَ بى لُجَّيْهِ ذُو حَرَزٍ ... سُفْعَمُ الفَضْلَيْنِ من ضَفُرِه

يَكْتَسِى عُثْنونُه زَبَدًا ... فنَصِيلاَه إلى نَحَرِه

ثُمَّ يَعْتَمُّ الحِجَاجُ به ... كاعْتِمام الفُوفِ فى عُشَرِه

ثُمَّ تَذْرُوه الرِّيَاحُ كَمَا ... طَارَ قُطْنُ النَّدْفِ عن وَتَرِه

كلّ حَاجَاتِى تَنَاوَلَهَا ... وهْوَ لم تَنْقُص قُوَى أَشَرِه

ثم أَدْنانِى الى مَلِكٍ ... يأْمَنُ الجانِى لدى حُجَرِه

تأْخُذُ الأَيْدى مَظَالِمَهَا ... ثم تستَذْرِى ذُرَا عَصَرِه

كَيْف لا يُدْنِيكَ من أَمَلٍ ... مَن رَسولُ اللهِ من نَفَرِه

فَاسْأَلُ عن نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ ... حَسْبُكَ العَبَّاسُ من مَطَرِه

مَلِكٌ قلَّ الشَّبِيهُ له ... لم تَقَعْ عَيْنٌ على خَطَره

لا تُغَطَّى عنه مكْرمَةٌ ... بِرُبَا وَادٍ ولا خَمَرِه

ذُلِّلتْ تِلْكَ الفِجَاج له ... فهو مُخْتَارٌ على بَصَرِه

سَبَق التَّفْرِيطَ رَائدُهُ ... فَكَفَاهُ العَيْنَ من أَثَرِه

وإِذَا مَجَّ القَنَا علقاً ... وتَرَاءَى المَوْتُ فى صُوَرِه

رَاحَ فى مَثْنَى مُفَاضَتِهِ ... أَسَدًا يُدْمِى شَبَا ظُفُرِه

تَتَأَتَّى الطَّيْرُ غُدْوَتَه ... ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه

وتَرَى السَّادات مَاثِلَةً ... لسَلِيل الشَّمْسِ من قَمَرِه

فَهُمو شَتَّى ظُنونُهُمُ ... حَذَرَ المَكْنُونِ من فِكَرِه!

يا كَرِيمَ الخَالِ من يَمَنٍ ... وكَرِيمَ العَمِّ من مُضَرِه:

قد لَبِسْتَ الدَّهْرَ لِبْسَ فتًى ... أَحْكَمَ الآدَابَ عن عِبَرِه!

فادَّخِرْ خيراً تُثَاب به ... كلُّ مَذْخورٍ لمُدَّخِرِه!!

لما أنشد أبو عبد الله بن الأعرابى هذه القصيدة، قال: أحسن والله! لو تقدّم هذا الشعر فى صَدْر الاسلام لكان فى صدر الأمثال السائرة

قال أبو الأصفر (وكان من رواة أبى نواس): لما أنشدنى أبو نواس هذه القصيدة، فلما بلغ الى قوله:

وإذا مَجَّ القَنَا علقاً ... وتَرَاءَى المَوْتُ فى صُوَرِه

رَاح فى مَثْنَى مُفَاضَتِه أسَداً يُدْمِى شَبَا ظُفُرِه

تتأَتَّى الطيرِ غُدْوته ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه

قلت له : أحسنت والله ، وجاوزت الاحسان . هذا والله ما لا يحسنه أحد ، ولم يبلغه متقدّم ، ولا يلحقه متأخر !!! فلما أنشدنى :

كَيْفَ لا يُدْنِيكَ من أمَلٍ مَنْ رَسولُ الله من نَفَره

علمتُ أنه كلام رَدِىءٌ ، موضوع فى غير مَوْضعه ، وأنه مما يعاب به . لأن حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجدر أن يضاف اليه ، ولا يضاف هو الى أحد . فلما رأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : وَيلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه . كما قال حَسَّان بن ثابت :

وما زالَ فى الإسْلام من آلِ هَاشِمٍ

دَعائِمُ عِزٍّ لا تُرام ومَفْخر

بَهالِيلُ : منهم جعفرٌ ، وابن أمِّه

عَلِىٌّ ، ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّر !!!

فقال : منهم ، كما قلتُ : من نفره ، أى من النفر الذين العباس منهم . فما تعيب من هذا ؟ قال : فعلمتُ أنه ضرب من الاحتيال ، ولكن قد أحسن المخرج منه !

قال : فقلت له : أرأيت قولك ؟ :

كَمَن الشَّنْآنُ فيه لَنا كَكُمونِ النَّارِ فى حَجَرِه

قال : رددت التذكير الى النُّور . ومثل هذا فى أشعارهم كثير ان فتشته .

قال : فعلمت أنه لا يقول شيئاً الا عن علم وحجة بما يقوله .

وقال الكسائى[1] : انما أراد فى حَجَرها فغلط . وقال أبو العباس : انما أراد فى حجَره ، فردّه الى القادِح . وجوَّدوا هذا التأويل . وقال قوم : انما ردّ الحجر الى الكمون . وكيف كان فقد أحسن فيه !!!

ومثل هذا ما أنشد الفرّاء :

لكلِّ دَهْرٍ قد لَبِستُ أَثْوُبَا من رَيْطَةٍ والثمْنَةِ المعَصَّبَا[2]

فجعل المعَصّبَ نعتاً للثمنةِ ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن ثمنة ضرْبٌ وصنف من الثياب الوَشْىِ ، فذهب اليه

ومثل ذلك قراءة يحيى بن وثاب : (ذو القوّة المتينِ) بالكسر صفةً للقوّة ، ومعناه الحَبْل

قال محمد بن شيثٍ : قلت لأبى نواس : ما معنى قولك ؟ :

لا أذود الطَّير عن شجرٍ قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَره

فقال: كانت لى صديقة من أهل الحرْماز ، وكنت أحبها ، فبلغنى أنها تختلف الى رجل من أهل البصرة ، فلم أصدق ذلك ، فتبعتها يوماً حتى دخلت منزله ،

---

(١) هوأبوالحسن على بن حمزة ، المعروف بالكسائى . أحد القراء السبعة ، وامام الكوفيين فى النحو واللغة . نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبر بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم . فلازم أئمة الكوفة حتى أخذ ما عندهم ، ثم خرج الى الخليل بن أحمد الفراهيدى بالبصرة ، وجلس فى حلقته ، وأعجبه علمه ، وسأله من أين علمك هذا ؟ قال : من بوادى الحجاز ونجد ، وتهامة . فخرج اليها . ولما رجع منها وجه اليه المهدى فخرج الى بغداد وضمه الى حاشية الرشيد ، ثم جعله الرشيد معلم ولده الأمين . وكان يجلسه الرشيد هو والامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة الى جانبه . ولما ماتا فى يوم واحد بكاهما وقال : دفنت الفقه والعربية بالرى ، وذلك سنة ١٨٩ هـ . وكان يرى الشعر ، وليس له فيه جيد نظر (عن الوسيط)

(٢) الريطة : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة . والعصب ضرب من برود اليمن

فرجعت الى منزلى وأنا مغموم ، فرميت بنفسى ، فجاءت فرمت بنفسها الى جانبى ، فحولت وجهى الى الحائط ، وتناومت فنمت ، فرأيت كأن قائلا يقول لى : قل :

لا أَذود الطَّيْر عن شجر قد بَلَوْتُ المرَّ من ثَمَره

فقمت فأخرجتها عنى ، وأدخلت البيت فى قصيدتى هذه

وفى هذه القصيدة :

تتأَتَّى الطَّيْر غُدْوَته ثِقةً بالشِّبْع من جَزَرِه

أخذ هذا المعنى مسلم بن الوليد الأنصارىّ ، المعروف بصريع الغوانى ، فقال :

قد عوَّد الطيْر عاداتٍ وَثِقْنَ بها

فهُنَّ يَتْبَعْنه فى كلِّ مُرْتَحَل (١)

وكأنما أخذه من قول حميد ، يصف الذئب بأنه يقبل والطير تتبعه :

اذا ما غدا يوماً رأيتَ غمامةً

من الطير ينظرن الذى هو صانع

وأول من افتض هذا المعنى النابغة ، فقال :

إذا ما غدا بالجيْش حَلَّق فوقهم عَصائِبُ طير تهتدى بعصائب

---

(١) وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى ، وأولها :

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل وشمرت هم العذال فى العـــذل

وقبل هذا البيت :

اذا طغت فتيـــة عن غب طاعتها عبى لها الموت بين البيض والاسل

وبعده :

تراه فى الامن فى درع مضاعفة لايأمن الدهر أن يدعى على عجل

جوانحُ قد أيقنَّ أن قبيلَه اذا ما ٱلْتقى الجمْعانِ أولُ غالبِ

وفى قصيدة أبى نواس هذه :

خابَ من أسرَىٰ الى مَلِكٍ غيْرِ معْلومٍ مَدَى سَفَرِه

يقول : خاب من ركب الغور، ولا يعرف مقدار سفره الى من يقصده . يقول : لست كذلك ، ولكنى أقصد من أثق باحسانه الى، وأعلم بتعجيل أوبتى بما أحبّ منه

وفى هذه القصيدة :

لا أذُودُ الطَّيْر عن شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المرَّ من ثمَره

هذا مثل . يقول: أنت جاف ، فانا أتركك، ولا أمنع منك من يريد مواصلتك لأنى ذقت مودتك وجرّبتها ، فوجدتك غدّارا بمن أحبك ، جافيا لمن يريد ودك

قال عباد بن أسلم : قلت لأبى نواس: أى شعرك أشعر؟ قال : اذا أردت الجدّ قلت مثل قولى :

أيُّها المُنْتابُ عَنْ عُفُره : لَسْتَ من لَيْلِى ولا سَمَرِه

واذا أردت الهزل ، قلت مثل قولى :

طَابَ الْهَوَىٰ لعَمِيدِه لولا ٱعْتِراضُ صُدُودِه

وله فى أحمد بن الحسين :

أقولُ للدَّهْر — وقد عَضَّنى منه بأَنْيابٍ وأضْرَاسِ : —

يا دَهْرُ إن أبْقَيتَ لى أحَمَدًا فاذْهَبْ بمن شِئْتَ من النَّاسِ
ما النَّاسُ إلا أحمدٌ وَحْدَهُ غـــير خُشَارَاتٍ ونَسْنَاسِ

وله فى امرأة اسمها دنيا :

إنَّ دُنْيـا الَّتى عَلَى مُهْجَةِ النَّفْس قَادِرَه
ظَلَمو نِصفَ إسْمها فهى دُنْيـا وآخِرَه

« أبو نواس وجارية أسماء بنت المهدى »

قال يوسف بن الداية : كانت الشعراء تجتمع فى كل يوم بباب أسماء بنت المهدىّ، وكان لهم مجلس يجتمع عليهم فيه أهل الأدب ، فكان يحضر ذلك المجلس أبو نواس . فنظر يوما الى وصيفة قد خرجت من قصر أسماء غلامية ، شاطرة ، عجزاء ، مطمومة ، ناهد ، وعليها أقبية ومنطقة، وفى رجليها نعلان . فاشتد عجبه بها ، ومازحها . فلم يزل ذلك دهرا ، اذا خرجت لحاجة الى ما يلى باب القصر ، عبث بها وداعبها، وأنشدها أشعارا يخبرها فيها بحبه لها، ولا ينكر ذلك عليه أحد، لما كان معه من العبث بالناس والمجون ، ولأنه لم يكن يعتدّ بالنساء . فقال لى يوما امض بنا الى باب أسماء ، لننظر الى من يحضر اليوم من الشعراء ، ونتعرف خبرا ان كان حدث . فمضنا ، فبينا نحن على باب أسماء ، اذا بالجارية قد خرجت، وعليها قباءُ وَشْيٍ منسوج بالذهب ، وسروايل وَشىٍ أخضر منسوج بالذهب ،وعلى رأسها محبسة منسوجة بالذهب إبْرَيْسَمِيَّة ، وفى رجليها نعل مغشاة بديباج ، وعليها منطقة ذهب مفرقة على زرياب حرير عريض، وقد غابت فى خصرها من انهضامه فما يكاد يبين ، وفى يدها قضيب خيزران تعبث به . فدهشت وكل من حضر اليها ، وبهتنا

الى براعة جمالها ، وحلاوتها ، وحسن زيها . فقال لى أبو نواس : فمثل هذه يانخاس فاشتر ، لا مثل رقيقك . فقلت : دعنى ، فما رأيت مثل هذه قط ، على كثرة ما يمر على يدى ، وما تصلح هذه الا للخليفة . فاقبلت : تخرج وتغيب ، وتتهادى وتتثنى فى مشيها ، حتى وقفت حيالنا ، ونظرت اليه نظرا دلنى على أن فى قلبها منه شيئا . فانشأ يقول ، وهى تسمعه ، وكان اسمها معشوق :

لَقَدْ صُبِّحتْ بالخيْرِ عَيْنٌ تَصَبَّحَتْ
بوَجْهِكِ يا مَعْشوقُ فى كلِّ شارِقِ
مقَرْطَقَةٌ لم يَحْنِها سَحَبُ ذَيْلِها
ولا نَازَعَتها الرِّيحُ فَضْلَ البنَائِقِ
تُشَارِكُ فى الصُّنْعِ النِّساءَ وسَلَّمت
لهُنَّ صُرُوف الحُلْى غيْرَ المَناطِقِ
ومَطْمومَةٌ لم تَتَّصِلْ بذُؤابَةٍ
ولم تَعْتَقِدْ بالتَّاج فَوْق المَفارِقِ
كان مَخَطَّ الصُّدْغ فوق خُدودها
بَقِيَّة أنقَاسٍ بأُصْبُعِ لاَئِقِ
نَدَتْه بماء المِسْكِ حتى جَرَى لها
الى مُسْتَقَرّ بين أُذْنٍ وعَاتِقِ

غلامٌ وإلاَّ فالغلامُ شَبيهُها

وريحانُ دنيا لَذَّةٌ للمُعانق

تَجمَّع فيها الشَّكْل والزّىّ كُلُّه

فليس يُوَفّى وَصفَها قَوْلُ ناطِق

فَطَانَةُ زِنْديقٍ ، ولَحْظةُ قَيْنَةٍ

بِعَين الذى يهوَى ، ومُنْيةُ عاشِق !!

وتَقْطِيبُ سِجْنِىٍّ ، وتكْرِيهُ شاطر ،

ونظرةُ جِنِّىّ ، ولْحظُ مُنافق !!

لقد كسبت عين عليك ثلاثة

لصاحبها يا فتنة للخلائق

فلما فرغ من انشادها ضحكت وولت راجعة ، فاذا أحسن الناس قدا ومؤخراً وحلاوة . فانصرفنا وقد أخذت بمجامع قلبى . فمكثنا أياما ، فلم أشعر الا بأبى نواس قد غدا الى فقال : ويلك أتدرى ما كان من حالى ؟ قلت : لا ، فعرفنى ، قال : كنت أمس كسلان ، فلم أنشط للشرب ، فبينا أنا قاعد فى وقت صلاة الظهر ، اذ دخلت على وصيفة أسماء بغير اذن ، فقالت : تقبل الطفيلية؟ فوثبت فقبلت رأسها وعينيها ، وثديها ورجليها ، وقلت : ياسيدتى ، الحمد لله الذى ألان لى قلبك ، وسخرك لعبدك ، ومتعنى بقربك . فأعلمينى كيف تخلصت؟ قالت : خرجت لأداء رسالة ، فكنتَ أهم الىَّ فى نفسى . فلما وضعنا الشراب بيننا ، فقالت : أبو نواس يكون عنده الأحمر ؟

فقلت : يا سيدتى هو مطبوخ صحيح ، وإن يكن فيه إثم فأنا أحمله عنك . فشر بنا حتى طابت نفسها وانبسطت ، وعبثت بها ، وكانت بكرا ، فجزعت وقالت : والله ما مَسَّنى بَشَر ، وانما جلبتنى بظرفك ، وحلاوتك وشعرك ، وما فكرت فى رجل قط . فلم أزل أداريها وأحمل عليها فى الشراب حتى أمكنتنى ، فمن إدمانى فى العمل صيرتها غلاما . فلما أصبحت غدوت وجئتك . قلت : فصف هذا الآن فى شعرك ، قال : قد فعلت فى طريقى اليك ، وأنشد :

ونَاهِدَةِ الثَّدْيَيْن من خَدَم القَصْر
سَبَتْنى بُحسن الجِيد والوَجْهِ والنَّحْرِ
غُلامِيّـة فى زيّهـا بَرْمكية
مُزَوَّقة الأَصـداغ مَطْمومة الشَّعر
كَلَفْتُ بما أبْصرتُ من حُسن وجهها
زماناً ، وما حُبُّ الكواعِبِ من أمْرى
فـا زلتُ بالأشعار فى كل مَشْهَدٍ
أليّنُهَا ، والشِّعْرُ من عُقَد السِّحْر
الى أن أجابت للوِصـال وأقبلت
على غـير ميعادٍ الىّ مـع العَصْر
فقلت لها : أهلا ، ودارت كؤوسنا
بمشمولة كالوَرْس أو شُعَلِ الجَمْر

فقالت : عساها الخمر ! إنى بريئةٌ

الى الله من وَصل الرجال مع الخَمْر

فقلت : أشربى ، إن كان هذا محرَّما

ففى عُنُقِى يا رَيْمِ وزْرُك مع وِزْرى

فطالبتهـــا شيْئاً فقالت بعَبْرةٍ :

أموت إذَنْ منه ، ودمعتها تجرى

فما زلت فى رِفْق ونفسى تقول لى :

جُوَيْريةٌ بكْرٌ ! وذا جزَع البكر

فلما تواصلنا توسطتُ لجةً ،

غرقت بها يا قوم ، من لجج البحر

فصحتُ : أَغِثْنى يا غلام ، فجاءَنى

وقد زَلِقَتْ رِجْلى ولجلجت فى البئر

فلولا صِياحى بالغـــلام ، وأنه

تدارَكنى بالحَبْل ، صرتُ الى القعر

فآليْتُ ألاّ أركب البحر غازيًا

حياتِى ولا سافرت إلا على الظَّهْر

قال : وقد مضينا غير مرة فى طلبها ، فما رأينا لها أثراً ، ولا سمعنا لها خبرا

« أبو نواس وحضوره مجلس الهيثم بن عدى ثم هجاؤه بعد ذلك »

صار أبو نواس فى حداثته الى مجلس الهيثم بن عدى[1] ، فجلس والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ، ولم يقرب مجلسه . فقام مغضباً ، وتبين الهيثم فى وثبته الغضب ، فسأل عنه ، فخبر باسمه ، فقال : انا لله ! هذه والله بلية لم أحسبها على نفسى ! قوموا بنا اليه لنعتذر ، فصاروا اليه ، فدق الهيثم الباب عليه ، وتسمى له ، فقال له : أدخل ، فدخل ، واذا هو قاعد يصفى نبيذاً له ، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله . فقال الهيثم له : المعذرة الى الله ثم اليك ، ولا والله ما عرفتك ، وما الذنب الا لك حين لم تعرفنا نفسك ، فنقضى حقك ، ونبلغ الواجب من يدك . فأظهر له قبول العذر . فقال له الهيثم : أنا أستعهدك من قول يسبق منك فىّ ، قال : ما قد مضى فلا حيلة لى فيه ، ولكن لك الأمان فيما يستأنف . قال : وما الذى مضى ؟ جعلت فداك ! قال : بيت مرّ وأنا

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن زيد بن لبيد بن جابر الطائى الكوفى . كان أخباريا ، راوية للاشعار . نقل من كلام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً . وكان أبوه نازلا بواسط ، وكان فيه خير . وأما الهيثم فانه تعرض لمثالب الناس ، ونقل أخبارهم ، وأورد معايبهم وكانت مستورة ، فكره لذلك . ونقل عن بنى العباس شيئاً فحبس لذلك سنين حبسه الرشيد . وقيل : ان ذلك نقل عنه زوراً ، لانه صاهر قوماً فلم يرضوه ، فلبسوا عليه ما لم يقله . وكان يرى رأى الخوارج . واستعمل على صدقات بنى فزارة ، فجاء رجل منهم فقال له : أريك عجباً ؟ ثم انطلق به الى جبل شاهق فاذا فيه صدع ، فقال له : ادخل ، فقال : انما يدخل الدليل . قال : فدخل . فاتبعته ، ودخل معنا أناس ، فكان ربما ضاق الجبل واتسع ، واذا نحن بضوء ، فدنونا منه ، واذا خرق ذاهب فى الارض ، واذا عكاكيز فى الارض فجذبناها ، فاذا هى سهام عادية ، فاذا كتابة منقورة فى الصخر بالعربية . وهى :

ألا هل الى أبيات سفح بذى اللوى لوى الرمل ، فالصدق النفوس تعاد
بلاد بها كنا وكنا نحبها اذ الناس ناس والبلاد بلاد

أدرك المهدى والرشيد والامين ، ومات فى أيام المأمون سنة ٢٠٧ هـ وله تآليف كثيرة فى اللغة والاخبار وغيرها تزيد على الخمسين ، ذكرت بأسمائها فى عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى

فيما ترى ، قال : فتنشدنيه ؟ فامتنع أبو نواس عن إنشاده ، فدافعه الهيثم وألح عليه ، فأنشده :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بَنِى ثُعَلٍ
فقَدِّم الدَّالَ قَبْلَ العَيْنِ فى النَّسَبِ (١)

وأنشد أبو شبل لأبى نواس فى الهيثم بن عدىّ تمام هذه القصيدة ، وهى :

الحمد لله ، هذا أعْجَبُ العَجَب ! أَلْهَيْثَمُ بن عَدِىّ صار فى العَرَب !
الهَيْثم بنُ عَدِىّ فى تَلَوُّنِه فى كلِّ يوم له رَحْلٌ على خَشَب

---

(١) وفى الاغانى ، عن على بن جبلة بن عبد الله بن الانبارى الاكمة الشاعر ، الملقب بالعكوك ، قال : جاءنى أبو يعقوب الخزيمى ، فقال لى : ان لى اليك حاجة ، قلت : وما هى ؟ قال ، تهجو لى الهيثم بن عدى . فقلت : ومالك أنت لاتهجوه ؟ وأنت شاعر . فقال : قد فعلت فما جاءنى شىء كما أريد . فقلت له : كيف أهجو رجلا لم تتقدم الى منه اساءة ، ولا له الى جرم يحفظنى ؟ فقال : تقرضنى ، فانى ملى بالقضاء . قلت : نعم ، فامهلنى اليوم ، فمضى ، وغدوت عليه فأنشدته :

للهيثم بن عدى نسبة جمعت آباءه فأراحتنا من العدد
أعدد عديا فلو مد البقاء له ماعمر الناس لم ينقص ولم يزد
نفسى فداء بنى عبد المدان وقد تلوه للوجه واستعلوه بالعمد
حتى أزالوه كرها عن كريمتهم وعرفوه بذل أين أصل عدى
يا ابن الخبيثة من أهجوا فأفضحه اذا هجوت ، وما تنمى الى أحد

قال : وكان الهيثم قد تزوج فى بنى الحارث بن كعب ، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى ، أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين الى الرشيد ، فسألوه أن يفرق بينهما ، فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

اذا نسبت عديا فى بنى ثعل فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى ياأمير المؤمنين . قال : فهذا الشعر من قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهل الكوفة ، من بنى شيبان ، يقال له : ذهل بن ثعلبة . فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما ، فاخذوه وأدخلوه دارا وضربوه بالعصى حتى طلقها . قال شارح هذا الكتاب : وعلى هذا فليس الشعر المذكور لابى نواس ، وانما هو لذهل بن ثعلبة الشيبانى .

ياهَيْثم بن عدىّ لستَ للعرب ... ولَسْتَ من طيءٍ إلاَّ على شَغَب

إذا نسبْتَ عَدِيًّا فى بَنِى ثُعَل ... فقَدِّم الدَّالَ قبل العَيْن فى النَّسَب

تُرىٰ دَعِيًّا على رَغْم الأُولى زعمُوا ... دَهرًا عَدِيًّا فتًى من سَادَة العرب

له لِسانٌ يُزَجيه لِيَهْجُوَهُمْ ... كأنَّه لم يَزَلْ يُعْدِى على قَشَب

كأَنِى بك فوق الجِسْر مُنْتَصِباً ... على جوادٍ قريبٍ منك فى الحسَبِ

حتَّى نَرَاكَ وقد دَرَّعْتَهُ قُمُصاً ... من الصَّدِيدِ مكان اللِّيفِ والكَرَب

لِلّهِ أنتَ فما قُربى تهمُّ بها ... الا اجْتَلَبتَ لها الأَنساب من كَثَبِ

فلا تَزَالُ أَخا حِلّ ومُرْتحل ... إلى المَوَالِى، وأحيانًا الى العَرَب

فعاد اليه الهيثم حين بلغته الأبيات، فقال له: يا سبحان الله! أليس لقيتنى، وجعلت لى عهدا أن لا تهجونى؟ فقال أبو نواس: (وأنّهمْ يقولون مالا يفعلون)

وقال أبو نواس يهجوه أيضا:

أنتَ من طَيٍّ ولكن ... قبلَه نُونٌ وباء

يريد أن نَبَطِىٌّ. وقال يهجوه أيضا:

مررتُ بهيْثم بن عَدِىّ يوما ... وقِدْماً كنت أمْنحُهُ الصَّفاء

فأعرضَ هيثمٌ لما رآنى ... كأنى قد هجوت الأَدْعِياء

وقد آليتُ لا أهجو دَعِيًّا ... ولو بلغت مُرُوءَته السَّماء!

« ما قاله أبو نواس فى غلام قد ٱلتحى »

قال يوسف بن الداية : كنت عنـد أبى نواس نتحدث ، إذا جاءه فتى قد ٱلتحى ، فلما طلع من الباب قال لى : يايوسف، قم فاقعد على الباب ساعة حتى أفرغ من أمر هذا . فقلت : ويلك ! بهذه اللحية ؟ قال: نعم يافضولىّ . فخرجت ، فدرت دورة ، ثم رجعت فقال : أتدرى من هذا ؟ قلت : لا والله ، غير أنى أرى صاحب لحية تامة . فقال : هذا غلام كنت أحبه وكان معى دائما ، فلما ٱلتحى صار فى السراجين فربما رأيته وهو عائد ، فآخذه على طينته الأولى . وقد كاد أن يمتنع الساعة . ولكن كانت الغلبة لى . ثم قام فاغتسل ، ورجع الى موضعه ، وأنشأ يقول :

رَأى بخَدَّيه نَابِتاً زغَباً ... فضَنَّ عنى هنـاك بالقُبَلِ

وقال : قد صِرتُ يا فَتَى رجلاً ... وذا قَبِيحٌ أراه بالرَّجُلِ

قد كان ما كان فى صِبَاىَ فلا ... تَعْرِضْ لوَصْلِى، ولَجَّ فى عَذَلِى

فقلت : يا من زُهِى بِلحْيتِه : ... الآن والله طِبْتَ للعَمَلِ

ذا زَعفَرانٌ ، والمِسك تُربَتُه ... يَنبتُ من تحت صُدْغِك الرَّجِل

تَراك لو قد خَضَبْتَ من كِبَرٍ ... وسِحْر عينيك عنك لم يَحل

صَبَرْتُ عن عَضِّ وجْنَتَيكَ وعن ... مَصِّ رُضابٍ بفيكَ كالعَسَلِ؟

هيهَاتَ هيهَاتَ ، فٱثْنِ حَصِراً ... يقرَع أسنانَه من الخجَلِ

وقمت أسعى اليه مبْتَدِراً ... والقَلب من سخطِه على وَجَلِ

حتى اعتنقنا على الفِراش وقد غاصَ صَقْرى الجمَّاح فى الكَفَل

وقال فى هذا المعنى :

قال الوُشاة : بدا فى الخدِّ عارِضُه

فقلت : لا تكثروا ، ما ذاك عائبه

الحُسْن منه على ما كنتُ أعْهَدُه

والشَّعر حِرْزٌ له ممن يطالبه

أبهى وأكرم ما كانت محَاسِنُه

إذ سَال عَارِضُه واخْضَرَّ شَارِبه

وصار مَن كان يُلْحِي فى مَحَبَّته

إن سِيلَ عنى وعنه ، قال : صاحِبُه

« أبو نواس وغلام ناسك يخاف من احتياله عليه »

روى جماعة أن أبا نواس أغرى بغلام من ثَقِيف ، وكان الغلام قد نسك ، فكان لا يدخل المسجد الا للقرآن أو للفرائض ، ولا يتشاغل بغيرهما ، مخافة أن يحتال عليه أبو نواس . ولكنه ما زال يحتال عليه حتى جالس أهل النحو ، ثم مال به الى أهل العروض . وما زال ينقله من علم الى علم حتى أقعده فى حلقة الشعراء ! وكان لهم بالبصرة موضعان : موضع بالمربد ، وموضع بالمسجد . ثم قال له يوماً : ياسيدى ! أى ذنب لك فنتوب منه ؟ ومن أى شىء تسلك نسك الناس ؟ أترى الله

عز وجل حسن وجهك، وهو يسيء اليك، أو يسيء الى أحد بك . فلما صار طوعه لعب به، وأنشأ يقول :

إذا ما وَطِئَ الأمْرْ ... دُ لِلْعلْم حَصَا المَسْجِدْ
فقل . حلَّ لنـا عَقْداً ... من التِّـكَّة واسْتَسفدْ
فان كان عَرُوضِيًّا ... فقولوا سَجَد الهُدهُد
وان أعجبـه النَّحْوُ ... فهـا ذاك له أجْوَدْ
وان مال الى الفِقهِ ... فَللفقـه له أفسَدْ
وان كان كَلَامِيًّا ... فحرِّك طَرَفَ المِقوَدْ
ومَيِّـله الى الخـيْر ... فَفيه قُربُ ما يَبعد
وخُذه كيف ما شئتَ اُقـ ... ـتِضَابًا أو على مَوعد
وقل : هـذا قضاء الله ... هِ هل يُدْفعُ أو يُجحَد؟
فيا من وَطِئَ المسجـ ... ـدَ من ذِي بَهجةٍ أغْيَد:
أنا قِست على نَفسِي ... فهذا الأمر لا أجحَد

أبو نواس وعبثه بامرأة تشترى عطراً وما قالت له »

كان أبو نواس جالساً عند عطار وامرأة تشترى منه عطراً ، فقرقر بطنها قرقرة شديدة بقوة . فأراد أبو نواس أن يتنـادر عليها ، فقال لها : يا شب ، أتبيعى هذا الزغب ؟ فقالت له : أما البيع فلا . ولكن اذا أفرخ أطعمناك من فراخه

« أبو نواس وجنان جارية آل عبد الوهاب الثقفيّ »

كان أبو نواس يعشق جنان جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ[١] المحدّث ؛ الذى كان ابن مُناذِر[٢] يصحب ابنه عبد المجيد . وكانت جنان حلوة ،

---

(١) أبو محمد عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبى العاص ، الثقفى ، البصرى ، أحد الائمة . أخذ عن حميد ، وأيوب ، وخالد الحذاء . وأخذ عنه الامام أحمد بن حنبل ، وابن معين ، والمدينى ، والامام الشافعى . وله كتاب فى الحديث . قال عنه ابن المدينى : أنه ليس فى الدنيا كتاب عن يحيى الانصارى أصح من كتاب عبد الوهاب توفى سنة ١٩٤ هـ

(٢) هو أبو جعفر ، أو أبو عبد الله ، أو أبو ذريح : محمد بن مناذر مولى بنى صبير بن يربوع . وقال الجاحظ : انه كان مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو بكرة عبدا لثقيف . ثم ادعى عبيد الله ابن أبى بكرة أنه ثقفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمى ، وادعى ابن مناذر أنه من صلب بنى صبير بن يربوع . فابن مناذر مولى مولى مولى . وهو دعى مولى دعى ، وهذا ما لا يجتمع فى غيره قط ممن عرفنا وبلغنا خبره . ومحمد بن مناذر شاعر فصيح ، مقدم فى العلم باللغة وامام فيها ، وقد أخذ عن أكابر أهلها ، وكان يجالس سفيان بن عيينة المحدث ، فيسأله سفيان عن معانى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ، ويقول له : كذا كذا مأخوذ من كذا . فيقول سفيان : كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض . أدرك المهدى والرشيد ومدحهما ومات فى أيام المأمون . وقال حماد الارقط : لقينى ابن مناذر بمكة فأنشدنى قصيدته التى أولها :

كل حى لاقى الحمام فعود مالحى مؤمل من خلود

ثم قال لى : أقرئ أبا عبيدة منى السلام ، وقل له : يقول لك ابن مناذر : اتق الله واحكم بين شعرى وشعر عدى بن زيد ، ولا تقل : ذاك جاهلى وهذا اسلامى ، وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين . ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية . وكان ابن مناذر ينحو نحو عدى بن زيد فى شعره ، ويميل اليه ويقدمه . وكان عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى من أحسن الناس وجها ، وأدبا ، ولباسا ، وأكملهم فى كل حال . وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له ، والشغف به ، وكان يبلغ خبره أباه ، على جلالة قدره وسنه ، وموضعه من العلم ، فلا ينكر ذلك ، لانه لم يكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابن مناذر حينئذ حميد الامر ، حسن المروءة ، عفيفا . ومدح عبد المجيد بن عبد الوهاب بقصيدة من مختار ماقاله ، يقول فيها :

منى الى الماجد المرجى عبد المجيد الفتى الهجان
خير ثقيف أبا ونفسا اذا التقت حلقتا البطان
نفسى فداء له وأهلى وكل ما تملك اليدان

جميلة المنظر، بديعة الحسن، أديبة، ظريفة، عاقلة، تعرف الأخبار، وتروى الأشعار. وكانت مقدودة، حسنة القوام. ويقال: إن أبا نواس لم يصدق فى حب امرأة غيرها وكان أول كلفه بها، أنها مرّت وهو جالس فى المِرْبَد مع فتيان من أهلها يتنزهون، وينشدهم الأشعار. فأبرزت عن وجه بارع فى الجمال، فجعل ينظر اليها. فقال له أصحابه: خرجت عن حدّك الذى كنت تنتسب اليه يا أبا نواس، يعنى من حب الغلمان، الى حب النسوان، فأنشأ يقول:

إنى صرفتُ الهوى الى قَمَرٍ ... لم يَتَحدَّ العيونَ بالنَّظَر

اذا تأمَّلْتَه تعاظَمَكَ الإِقْـ ... ـرارُ فى أنه من البَشَرِ

ثم يعودُ الإنكارُ مَعْرِفةً ... منكَ اذا قِسْتَه الى الصُّوَر

مُباحَةٌ ساحةُ القلوب له ... يَأْخذُ منها أطايب الثَّمَر

كأن شمس الضحى وبدر الـ ... ـدجى عليه معلقان

نيطا معا فوق حاجبيه ... والشمس والبدر يضحكان

مشمر همه المعالى ليس برث ولا بوان

بنى له عزة ومجدا ... فى أزل الدهر بانيان

فاسأله مما حوت يداه ... يهتز كالصارم اليمانى

وخرج ابن مناذر يوماً من صلاة التراويح وهو فى المسجد بالبصرة، وخرج عبد المجيد ابن عبد الوهاب خلفه، فلم يزل يحدثه الى الصبح، وهما نائمان: اذا انصرف عبدالمجيد شيعه ابن مناذر الى منزله. فاذا بلغه وانصرف ابن مناذر، شيعه عبد المجيد، لايطيب أحدهما بفراق صاحبه حتى أصبحا. ولما مات عبد المجيد رثاه ابن مناذر بقصيدته المشهورة، وقد ذكرها أبو العباس المبرد فى كتابه الكامل فى باب المراثى وأثنى عليها، وأولها:

كل حى لاقى الحمام فمود ... مالحى مؤمل من خلود

يقول فيها:

ان عبد المجيد يوم تولى ... هد ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود

(عن الاغانى بتصرف)

وشغف بها أبو نواس حبّا ، وهام بها لبّا ، وقال فيها أشعارا كثيرة ، وشكا وَجْده بحبها وهو لا يعرفها ، وطال سؤاله عنها ، فلم يقع على خبر منها بعد اليوم الذى رآها فيه . فقال : كما لا ينقص الأدب ، كذلك لا يفتر الطلب . وتناقل أهل البصرة شكايته من حسنها ، وحسن شعره فيها ، وأكثروا ذكره فى كل محفل ومجمع

وكانت جنان تحب النساء ، وتميل اليهن ، فذكرته امرأة لها وأنشدتها بعض شعره ، فقالت جنان : والله لقد رأيته بالمِرْبَد ينشد الأشعار ، وما زال يُتبِعنى نظره الى أن غبت عنه . فتواعدن على أن يخرجن ، ويعبثن به ، ويمازحنه . فخرجن يوماً وأبو نواس على غَفلة من ذلك حتى وافينه . فلما رآها كاد عقله يذهب ، وتحير ، وأقبل وأدبر . فدنت منهن واحدة اليه ، وقالت : يا فتى ، أنت أبو نواس ؟ فقال لها : نعم أنا المعنَّى من لا تَرْثى لشكايتى . فقالت له : بالله أنت عاشق ؟ قال : إى والله ! قالت : لمن ؟ قال : لمن لا يعلم ما بى ، ولا أعلم من هو . قالت : فاجعلنى رسولاً اليه ، فلعل الله أن يمنّ علىّ وعليك . قال : هى والله التى معكِ ، وأومأ الى جنان . فانصرفت عنه الى جنان وهى تضحك ، فأعلمتها ما دار بينها وبينه ، فأنكرت ذلك عليها ، وقالت : بمثل هذا الكلب تُطمِعينَه فىّ ، وانصرفت واتَّبعها حتى عرف منزلها ومولاها ، وسأل عن اسمها فأخبروه عنها ، وانصرف ، وقال فيها قصيدته التى منها :

* تراءت لنا كالبَدْر وَسْط الكواكبِ *

ثم لم يزل يُشبّب باسمها ويظهره ، حتى عرف بها واشتهر أمره . وأرسل اليها ، فانتهرت رسوله وشتمته ، وقال فيها أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى

قال أبو نواس : ثم سمعت بعد ذلك أنها للثَّقفيين ، فعاشرتهم ونادمتهم حتى اشتهرت بذلك . ثم راسلتها بعد ذلك كله ، فجعلت تشتمنى وتشتم رسلى دهراً فمما قال فى سببها له قوله :

أتانى عَنْكِ سَبُّكِ لى ، فسُبِّى ... أليس جَرَى بِفيكِ اسمِى ؟ فَحَسْبِى !!

وقولى ما بدا لكِ أن تقولى فماذا كلّه إلاّ لحُبّى
فصار له الرجوعُ الى وِصَالى فما تَهوِينَ من تَعْذِيب قَلْبِي ؟
تَشابَهَتِ الظُّنُون عليكِ عندى وعِلْم الغَيْب فيما عند رَبِّى !!

قال أبو نواس : ثم واصلتنى بعد ذلك بحين ، وخرجتُ الى بغداد وفى نفسى بقايا من حبها ، مافارقتنى ولا تفارقنى الا مع خروج روحى

قال : وأرسلت اليها رسولا مرّة ، فقالت لها : واضيعتاه ! لم يبق لى غير أن أحبّ هذا الكلب ؟ قال : فجاءتنى رسولى متعيرة ، فأبلغتنى ما قالت ، فقلت حينئذ :

كَسَر الحبُّ نَشاطى ولقد كنتُ نَشيطا
جاءَنِى عنه كلامٌ زادنى فيه قُنُوطا
واضياعاهُ ! أمثلى يُرْتجىٰ فيه خليطا ؟
قلت : لا أقرب الا آلَ عمرو أو لَقِيطا
قد رأينا عَرَبيًّا تٍ يُواصِلْن نَبيطا
لو أردت الوَصْل لم تجـ لمبْ من الفَخْر شروطا !!

قال أبو نواس : شكتنى جنان يوما الى مولاها ، فشتمنى وانتهرنى . ثم ندم على شتمى ، فشكانى الى بعض إخوانى ، وخاف أن أهجوه ، فذكر لى ذلك ، فقلت :

مَنْ سبَّنى من ثَقيفٍ فانّنى لن أسُبَّه

أبَحْتُ عِرْضى ثَقيفًا ولَطْمَ خَدّى وضَرْبَه
وكيف يُنْكَرُ هذا وفيهمو لى أحِبَّه ؟
لَأُوسِعَنَّ بحلْمى عَبْدَالحبيب وكَلْبَه !!
ولا أكون كمن لم يُوسِعْ لمولاه قَلْبَه،
فقام يدعو عليه ويجعلُ الله حَسْبَه !!

فكان ذلك ممَّا عطفها نحوه ، ورقق قلبها عليه ، وكان أولَ الأسباب الى وصلها .

ولما بلغه سَبّها له ، قال للرسول ، حين أخبره بسبها له أبياتا ، وهى :

ما عِصْمتى من شَتْم أحْبابى؟ أعظم من شَتْمِهِمْ ما بى !
لو قِسْتُ بالشَّتْم بلائى به أفْنَيْتَ فيه جَيْشَ حُسّابى!
يا حِبُّ إنى والذى مَسَّنى مِنك بأسْقَام وأوصاب :
لَمَوْقِعُ الهِجران بين الحشا أنْفذُ من رَشْقٍ بنُشّاب!!!

ولما بلغه أن جنانا قالت ، عند ما ذكر اسمه عندها : فعل الله بالمخنث الكاذب فى حبه كَيت وكَيت ، قال :

جِنانُ تَسُبُّنى ،ذُكِرتْ بخَيْر ! وتَزْعم أنَّنى مَذِقٌ خَنيثُ
وأنَّ مَوَدَّتى كَذِبٌ ومَيْنٌ وأنّى للذى أهْوىٰ بَثُوثُ
وما صَدَقتْ ، ولا رَدٌّ عليها ولكنَّ المَلُولَ هوالنَّكُوثُ

ولى قلبٌ يُنازِعُنى اليها وشَوْقٌ بين أضلاعى حَثِيثُ
رأتْ كَلَفِى بها ودَوامَ عَهْدِى فمَلَّتْنى، كذا كان الحَدِيثُ !!

وكان أبو نواس يحب أيضا جارية لجعفر بن سليمان ، اسمها حسن ، وحرم صُحبتها ، كما حرم صحبة جنان وعنان ، كأنه لم يكن مَجدودا [1] منهن ، كما كان من الغلمان

قيل لأبى نواس : إن جنانا قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجه ، وقال : أما الله ما يفوتنى الحج والمسير معها ! وما علىّ من هذا ، ان أقامت على عزيمتها ؟ فظن مازحا فى أول أمره ، ولكنه سبقها الى الخروج ، بعد أن علم أن جنانا خارجة ، وما كان ينوى الحج ، ولا أحدث عزمه الا خروجها . وقال ، وقد عاد من حجه :

ألَمْ تَرَ أنَّنى أفْنَيتُ عُمْرى بمَطْلَبِهـا ، ومَطْلَبُهـا عَسِير
فَلَمَّا لم أجِدْ سَبَباً اليهـا يُقَرِّبنى ، وأعْيَتْنى الأُمور ،
حَجَجْتُ، وقلتُ : قدحَجَّت جنان فيجمعُنى وإيَّاها المَسِيرُ ! !

حدّث من شاهد أبا نواس لما حج مع جنان ، وقد أحرم ، فلما جنه الليل ، جعل يلبى بشعر ، ويحدّد و يطرب فى صوته ، حتى اجتمع به كل من سمعه ، وجعل يقول :

إلهَنا : ما أعدلَكْ ! مَليكُ كلّ مَن مَلَكْ

---

(١) أى لم يكن ذا حظ منهن

لَبَّيْك، قد لَبَّيْتُ لَكْ لَبَّيك إنَّ الحمدَ لَكْ
والمُلك، لاشَريكَ لَكْ ماخاب عَبدٌ سَأَلَكْ
أنت له حيثُ سَلَكْ لَوْلاكَ يارَبِّ هَلَكْ
لَبَّيكَ إن الحمد لك والمُلك لاشريكَ لَك
كلُّ نَبِيّ ومَلَك وكلٌّ من أهَلّ لك
وكلّ عبد سألك سَبّح أو لبَّى — فلك
لَبّيكَ إنَّ الحمد لك والملك لاشريك لَكْ
والليل لمَّا أن حَلَك والسَّابِحَات فى الفَلَك
على مَجَارِى المُنْسَلَك. يا مُخْطِئاً ما أغْفَلَكْ
عَجِّل وبادِرْ أجَلَكْ واخْتِمْ بخيرٍ عَمَلَك
لَبّيْك إنَّ الحمد لكْ والعِز لاشريكَ لكْ
والملك لاشريك لك والحمدَ والنّعمة لك

وفى جنان هذه يقول أبو نواس :

جَفْنُ عينى قد كاد يَسْـ ـقُطُ من طُولِ ما اختَلَجْ
وفُؤَادى من حَرّ حُـ ـبك قد كاد أو نَضجْ
خَبِّرينى ، فَدَتْكِ نَفْـ ـسى وأهلى : متَى الفَرَجْ ؟

كان ميعادَنا خرُو جُ زِيادٍ ، وقَدْ خَرَجْ
أنتِ من قَتْل عائذيـــــكِ فى أضْيَق الحرَجْ !!

وزياد هذا الذى أشار اليه ، هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفىّ وكان يتعشق امرأة أبيه [1] ، بانة بنت أبى العاص ، وولدت من عبد الوهاب أبا العاص وزيادا ، وعثمان ، وعبد المجيد صاحب بن مناذر الشاعر الذى رثاه بعد موته بقوله من قصيدة فى رثائه :

إن عبدَ المجيد يَوْمَ تَولّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدودِ
مَا دَرَى نَعْشُه وَلا حَامِلُوهُ ما على النَّعْشِ من عَفَافٍ وجُودِ !!

شهدت جنان عرساً فى جِوار أبى نواس ، فانصرفت منه وهو جالس ، فلما رآها امتقع لونه ، وقال :

شَهِدتْ جَلْوة العَروس جنَانٌ فاسْتَمالتْ بحسْنِها النَّظَّارَهْ
حَسِبُوها العروس حين رَأَوْها فاليْها دُونَ العَرُوس الاشارهْ
قال أهلُ العروس حين رَأَوْها : ما دهانا بها سِوَى عَمارَهْ

وعمارة هذه مولاة جنان ، وهى زوجة عبد الرحمن الثقفى . فلما قال أبونواس هذه الأبيات ، قالت له جنان : كانك كنت معنا ، هكذا كانت والله الصّفة

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعل هنـــا سقطا من الناسخ ، والا فعبارة الكتاب مضطربة فاسدة . قال فى الاغانى : وكان لعبد الوهاب ابن يقال له : محمد كان أسن ولده ، ويقال : انه كان يتعشق بانة ابنة أبى العاص ، امرأة أبيه ، وأن زيادا بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى منه ، وكان أشبه الناس به